شـــــانشـــــيلا

خالد ثابت

اســـــــم العمـــــــل : شـــانشـــيلا

النـــــــــــــــوع : قصص

تـــــــــــــــأليف : خالد ثابت

تصـــــميم الغـــــلاف : أحمد الملواني

إخـــــراج داخلـــــي : عبدالقادر فايز الهندي

الطباعـــــــــــــة : اتيليه تاتش – المحروسة

الناشـــــــــــــر : الدار للنشر والتوزيع

المـــــــدير العـــــام : محمد صلاح مراد

تليفـــــــــــــون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧

البريـــد الإلكترونـــي : eddar_press@yahoo.com

فـــيس بـــوك : www.facebook.com/eldarpublish

رقـــــم الإيـــــداع : ٢٠١٦/٥٢٣٦

التـــــرقيم الـــــدولي : I.S.B.N:-978-977-702-134-0

شـــــانشـــــيلا

خالد ثابت

٢٠١٦

الدار للنشر والتوزيع

إهـــداء

إلى

عمر وسهيل والحسن

خالد ثابت

مفتتح

الصفحة الأخيرة

يحتال الظن على عقلي وأصبحت لا أعرف غيره يقينا
فاليقين بريد الحاضرين والظن وجود الغائبين
وأنا لست حاضرا ولا غائبا
أنا كتلة أخذت حيزاً من الفراغ وحيازة من الهواء وظل ورائحة
أنا من سفر التكوين وسورة التوبة
أنا فعل مضى فانقضى فعاند من أجل بقاء لم يعد له معنى
أنا حزمة اختيارات وجعبة شوق وهموم وأسئلة
أنا... هو أنا
أنا نفسي وبشرتي وروحي
أنا عرقي وتاريخي
أنا عظمي وبصماتي
أنا فرد أحد
أنا وحدي لا شريك ولا ولد
أنا الصمت والكلام والحلم والفزع.

أنا واحد من أرباب الوهم... منتهى وجودي رحيل .. ثوابتي أفكار ومشاعر وحيل، أعيش ما بين كانت وسوف.
أنا من الإله
أعبد نفسي في جلال رب العالمين وفي نفسي وفي الناس وفي ذنوبي وفي عبثياتي التي أعشقها حد الهوس.
أنا من العبيد
تخضع نفسي في جلال رب العالمين وفي نفسي وفي الناس وفي ذنوبي وفي عبثياتي التي أعشقها حد الهوس أيضاً.
أنا قليل من الحروف وصوت ومتتالية من أدوات العطف والبطش
أكُون موسيقي في هذيان المرض
وغناءً في تراتيل العبادة
وهامشاً حين أتعاطى العجز
ثم نقطةً في آخر سطرٍ من آخر صفحة.

خالد ثابت

سيرك حلاوة

سرادقها أحمر كبير مزركش، وله لافتة تقبع فوق كرسي على حافة المدخل:

... الفقيدة أحلام الشحات حلاوة ...

لقد ماتت، النقاط الحصينة بدأت في الانهيار تباعا، وجودها المزدحم بأطماعها وصراعاتها يختفي، لن تنام في سريرها أو أي سرير آخر، لا مزيد منها .. لا مزيد من التذمر ولا مزيد من السباب، كما أنها لن تصدر فواتير جديدة تستحق الدفع .. حتى اسمها الذي كان "أحلام حلاوة" سقط على اللافتة الأخيرة، و"الشحات" ظهر مُشْهرَا داخل الصورة لأول مرة.

ياسلام .. أحلام الشحات .. مضاف ومضاف إليه .. واحدة من أشهر مركبات العربية .. كلمتان بينهما علاقة شاذة .. الغريب أنها معلنة .. هكذا (عيني عينك) مضاف و(..)، الأغرب أن العجز سمة سائدة في كل التكوين .. نكرة ومعها كلمة طفيلية.. يجمعهما بناء مجهول النسب...ومع ذلك فإن هذا التكوين بكل عموميته وتجريده يستطيع أن يدون المعاني والإيحاءات ويدغدغ بها قلوبا وعقولا.

.. ماتت أحلام الشحات حلاوة ..

آه يا أحلام .. أنا لا أملك الجنة لكن الدعوات لا تكلف شيئا !! إليك دعوة بجنة الخلد .. بل أحلى مكان في جنة الخلد، مكان متميز يرضي غرورك ويطفئ الحريق المسعور في داخلك! اجعلها يارب تباغت المؤمنين الذين تحفظوا وتعففوا فلم ينالوا مثل ما حصلت عليه.. ميزها يا رب في دار الخلد بعد أن

تجاوزت الإقفال النهائي لدار الاختبار التي استحوذت فيها على أحلى مما كان يحلم به المؤمنون. ولو كانت النار ترضيك فإليك دعواتي الحارة بالجحيم !!

الرعاة الرسميون للعزاء يتحالفون بعزيمة وتصميم على طرف سجادة مؤجرة .. يقفون عليه صفا واحدا، عائلة واحدة .. رجل أبيض جدا يقف إلى جواره رجل مسن وآخر عاجز ورجل كفيف وآخر أخرس، يتلقى الرجل الأبيض أكف رجال آخرين قادمين للعزاء.. يتوارى خلف صمت وشكر وإجابة تقول فيما يشبه الخفوت: سعيكم مشكور، ويتوارى الآخرون خلفه.

في الداخل.. رجال يجلسون على مضض، يتبادلون ملامح مؤقتة وإيماءات محدودة نحتوها في عجالة على وجوه خشبية، لم أتعرف على أي منهم رغم أن أشياء فيهم تبدو مألوفةً، ربما رأيت "أحلام" في صحبة أحدهم يوما، أو رأيت من يشبههم فأصدقاؤها من الذكور كثيرون.

كانت شغوفة بهم "رحمها الله" تدعوهم "الصبيان"، تخطفهم، تروضهم ثم تتفنن في استخدامهم، تصنع منهم حكاياتها ويدفعون فواتيرها، ثم تحولهم إلى تاريخ يكونها، تجعل منهم أوطانا وأعداء، صغارا وكبارا، صعاليكاً وملوكاً، أحيانا أتذكر معامل الطرشي البلدي عندما تعن سيرة أحلام، الألوان والملح والتعفن أشياء كثيرة مشتركة بينهم.

استخدمها الصبيان كثيرا استخدامات عديدة، دللوها حتى جعلوها ثقبا أسود يفضي إلى عدم، بلا ولاء ولا وطن. عندما تطمئن وتسكن .. تضج فتزهد .. وتخون وترحل .. وكأنها تستعذب التشرد والفزع .. حولت كل ذكورها إلى أشباح

وحكايات ليلية تحرق الصور والأوراق وتتركهم يكتبون على الرماد أسئلة وهذيانات ..
أين ذهبت أحلام؟ لماذا رحلت؟ هل تحب من جديد ؟ ألا تحزن ؟ ألا يؤلمها الفراق ؟ من أين لها بكل هذه القسوة ؟ قاتلة هي أم وليدة من حرام؟
سحقت عقل الدكتور عبد العاطي وكرامة سيد النجار وقلب الرجل الكبير .. حتى الشيخ الحلالي استباحت لنفسها بيته ونسله. الزهد لعبة تجيدها أحلام كما تجيد الكراهية... والزهد مناورة شهيرة تتعامل مع التوازنات لتعظيم المكاسب وأرباحها .. لقد تنبأ لها سيد النجار "ربما من باب الغل" أن أحدهم سيحش رقبتها عما قريب.
تتأرجح رأس القارئ يمينا ويسارا .. كلما توقف جسده عن التأرجح، يسكب القرآن في فوهة الميكروفون بطنين آلي، له مذاق من خليج العرب المتنازع عليه ويغوص في ما يشبه الرمال المتحركة .. كان يجلس على كرسي في حجم كنبة وارتفاع مائدة مسانده قصيرة، خشبه المرمم غارق في طلاء ذهبي توالى وتراكم في بذخٍ سفيه، أعداء متحدون... شيء يشبه هيئة الأمم المتحدة.
في شتاء عام من الأعوام التحقت أحلام بشيخ لكي تتعلم القرآن وعلومه، اشترت حجابا ومصحفاً وكراريس خضراء وأقلاماً ومسوحاً وبخوراً ومسابح كثيرة.. كانت تحلم من أجل العمرة في الشتاء التالي.
في الشتاء التالي كانت داخل بنطلون ضيق وبطن عارية وسهرة ليلية مديدة تحتسي خمرا مع أحد صبيانها...أصبحت

تقر بالكاد أن الله موجود.... فتعلمت منها أن الدين يمكنه أن يكون نزوة مثل كل الذنوب.
يصل القارئ إلى آخر الربع ويختمه بدعاء مهيب ثم يتجمد.. أمّن الجميع ثم أفاقوا من السبات وتبادلوا التحركات، في بعض من المنتصف فتيان يملأون المكان بتمرد خجول واستهتار بريء.. محاولات لإضفاء فكاهة على شفاه وعيون لا يعنيها الأمر.. تذكرت المضاف والمضاف إليه، تسرب إلى إحساس بغيض غامض، وأحسست بحلول أحلام. تذكرتها عندما كانت تصرخ مبهورة بحكايات غبية محايدة كنت ألقيها بترفع وتفكه، كان انبهارها يملأ فراغاتي وتشققات نفسي، يرضي غروري ويملؤني بالنشوة. كنت أظن كلماتي مأثورات لديها وأنني النبي في حواريه المخلصين.
الآن لا أعرف إن كان من الممكن فعلا أن تتواجد الفكاهة في مواطن الحزن أم أن الأمر برمته مجرد صنعة محبوكة باقتدار بليغ، "فبركة في فبركة"، فلا هؤلاء حزانى ولا أولئك يضحكون ولا أحلام كانت مأخوذة بما أقول!
مجهدون شاردون يجلسون ما بعد المنتصف، بعضهم يغط فيما يشبه الحزن، وكثير منهم يختبرون الوجوه الأخرى .. رأس مالت إلى أذن تسأل في همس:
-هواللي احنا عزيناه ده يبقى جوزها؟
-أيوه
-أول مرة أشوفه
-ما تشوفش وحش
-تفتكر أحلام حتدخل الجنة وللا النار؟

-تروح مطرح ما تروح اللي حيسري على الناس حيسري عليها.
-حرام عليك الكلام بالشكل ده...اذكروا محاسن موتاكم.
-محاسن المرحومة؟.. حاضر .. بس بعد القرآن.
تبادلا نظرة ثم حفرا ضحكتين عميقتين محفوفتين بالصمت وأنفاس متلاحقة.
ترى أين أنت الآن يا أحلام في الجنة أم في النار، هل يمكن أن يكون مثواك الجنة ؟ ولم لا ؟
أحلام الشحات امرأة من البشر في لوحاتها مساحات خضراء بجوار خرائبها وحرائقها لقد اجتاحتني في أحد مواسمها بنزعة متصوفة حارقة، ترصد وتبكي وتكتب وتتحدث عن الغفران والوجد.. تباغت الحيارى بالفضل وتعيرني بدناءتي الحيوانية من حين إلى حين، لقد أدهشتني حتى تصورت أنها تتحول شيئا فشيئا إلى كائن شفاف بديع الطباع، أو أنها ستصبح امرأة مثل رابعة العدوية .. لا أذكر على وجه التحديد متى حدث هذا. ربما في عهد حكم الشيخ الحلالي عليها.. ربما.. لم أعد أذكر التواريخ؛ فالأيام شديدة التشابه والاقتراب، والتصوف يمكن أن يكون نزوة هو الآخر ..
ثم إن موتها سيصنع فراغا دنيويا له أثر .. أحياء عديدة في الحياة الدنيا لن تكون كما اعتادت أن تكون، ستتغير أشياء وتضيع أخرى للأبد. سيتقيأ الجميع من أجلها كل طقوس الموت الموروثة على أكمل وجه، وسيعيدون صياغة المشاعر والأفعال بما يكرس فكرة الضياع وانقطاعها الأبدي.. كثير من التصريحات سيتغير سياقها وبناؤها... على رأسها جملة يقول مطلعها: قالت لي أحلام.

في شريان السرادق بين صفوف الكراسي رجل يمشي بسرعة، يناور الأرجل ببراعة متجها إلى القاع، يحمل صينية لها بريق مستهلَك وعليها فنجان وكوب ماء.
في القاع.. صف طويل من الكراسي المعدنية يحتل الفراغ من القماش إلى القماش ويحمل رجلا حزينا .. يتناول الرجل الفنجان بيد مرتعشة، يرتشفه في ألم ثم يسقطه على ملابسه .. يتلقف الجرسون الفنجان الهابط من الهواء، ينحني إلى الرجل ينظف بمنشفة قذرة بقعة القهوة من قميصه
ثم يقول:
-حصل خير يا أستاذ .. الحمد لله إنها جت على قد كده ..
يتمتم الرجل في وهن:
-الحمد لله .. الحمد لله..
فيرد الجرسون في إشفاق:
-دلق القهوة خير ... والله خير.. ربنا يصبرك.
يبدأ الرجل الذاهل في البكاء، ويعود الجرسون إلى عمله ...يعبث الهواء بأقمشة السرادق الأحمر وبحالة الكآبة التي يكد الجميع بإخلاص لإغراق المكان فيها. أحسست بغربة وتمنيت الخروج، لا أحد يشبهني ولست على علاقة بأحد، أكاد أختنق. الرجل الباكي سرقني إليه مرة أخرى.. يا لألمك أيها الرجل ...من تكون؟ ولماذا أنا وأنت هنا؟ لماذا لا يبكي أحد آخر معك؟ لماذا لا يحزن أحد؟
لقد ماتت أحلام يا صبيان..لن يكون هناك أحلام بعد ذلك .. هل من الممكن أن تكون أنت ابن أحلام ؟ أم أنك أحد ذكور السيرك الموتورين؟!!

غريب أمرك يا بنت حلاوة... سرادقك يشبهك كثيرا... نفس المرار والفراغ والخداع، كأنك صنعتيه بنفسك .. كأنك أرسلت الدعوات ورسمت الأدوار!
سأخرج.. سأغير على زوجك وهو يتلقى العزاء، سأسلم عليه بحرارة، سأحييه على خدماته لك بإخلاص لعله يدرك أنه لا يعرفني، وربما أسلم على كل ذكور العائلة سأعبر المدخل بطريقة لا تجعله مدخلا.. سأخرج..
ظلام الليل الطبيعي أكثر وضوحا ورحابة، سأمشي على الرصيف وأراقب الناس والكلاب الضالة، ربما أبزغ على الدنيا من عيون القطط، سأمارس أشياء سهلة، سأبدد الساعات كما لم أفعل من قبل.
في هدوء، توجهت نحو الرجل الباكي! نظرت بين عينيه.. وألقيت عليه العزاء .. قلت له إن الموت هو مصير الجميع والفقد قدر محتوم ...الألم شيء بشع، أنت تموت موتا بطيئا بالغ الألم بلا شفاء لك أو تعويض، لا أمان في الدنيا وربما لا جنة في الآخرة وبكل تأكيد لا أحلام... أقدم لك بكل تقدير التعازي الحارة المجانية... البقاء والدوام لله.. واخبط راسك في الحيط !!
عندما انتهيت كان قد بدأ يرفع نظره إلي وعندما مضيت كان نحيبه قد ملأ كل فراغات السرادق .. إنه الآن ينفد.. يتناغم مع الموت .. شيء بديع، لأن الموت هو الأصل والفصل. نحن علامة استفهام ما بين الماضي والموت..
في نزوة ليلية للهواء أخذ يهاجم المصابيح المعلقة وعوارض السقف، يدور حول نفسه وتدور الأصوات التي يبعثرها حوله، ظل يتهكم ويسخر حتى بدد كل رصيدي من الدفء.

تتأرجح الأضواء وتلامس البرودة ظهري.. يتملكني رعب وألم مسموم كذلك المربوط بذكراها منذ سنوات عديدة... هل من الممكن أن تكون أحلام قد ماتت فعلا أم أنها كذبة أخرى وخداع بصر؟!

من داخل ظلام الطريق ألقيت نظرة أخيرة على السرادق، أحسست أنني حزين ويتيم، أدركت رغبة في البكاء، مصيبة أن تكون أحلام قد ماتت، أو أن أكون أنا إنسان حي بين الناس.

فطيرة بسكر

كانت عجينة .. أما الآن فالسكر يزين وجهاً أصفراً، دقيق مقهور، كان معه ماء هرب حينما اشتعل الفرن بالجحيم، هذه هي الفطيرة..
قالت: ذهب أبوك للسوق يوم الثلاثاء، ووجدوا جثته طافية على وجه النهر صباح الأربعاء !
قال : لماذا لم تخبريني وقتها ؟
قالت: خفت عليك
قال: مم؟
قالت: خفت عليك من الألم ..و ميراث كئيب
قال : هل تعرفين ما حدث؟
قالت: لقد مرت سنوات طويلة... كُل يا ولدي كل، لا معنى لهذا الشقاء الآن!
السكر منثورٌ على السطح فقط، الطعم الحلو فوق الوجه، أما القلب الساخن فلا يحتوي إلا على ملمس الزيت.
تحايل على رقائق العجين الميت التي بلا طعم، لفحها بعينيه، التهم.. يمتلئ فمه وينقرض الكلام.
قالت: كنتُ صغيرة ووحيدة، وفي حضني طفل يتيم .. مذاق الأيام الجافة قاس كنشارة الخشب..
قال : أعرف، مازلت أبتلعُ منها، كانت ولادة الهلالي صعبة أليس كذلك؟ لقد عانيتِ كثيراً، مازلت أذكر أطراف معاناتك

المفزعة، زوجك وصراخك وليلة البرد الفقيرة في زمن الحرب!
قالت: لقد تزوجت ثانية من أجلك !
قال: وهجرت السويس من أجلي؟ .. وأحرق زوجك دواوين أبي من أجلي ؟.. كان أبي يكتب فيك شعره، لم يبق من قصائده إلا ما ضاع منك في كتبي المدرسية.
قالت: الحرب يا حبيبي سلطان شهواني أعمى !
قال : أرضعت سلطان حليبي.
قالت: اشتريت لك منه عمراً وبيتا ومدرسة.
قال: وقلباً مشروخاً وفراغاً، لقد زرعت الهلالي في أرضك من صلب سلطان.
قالت: الهلالي أخوك .. أنتم أبناؤنا..
قال : الهلالي فقط .. أنا ابن الشاعر المقتول.
قالت: سلطان يحبك .. ولا يرى فيك إلا ابنا له.
قال: من يدري... ربما أكون ابنه .. لكن المستندات تقول إن الشاعر المقتول أبي.
أشاحت بوجهها ... لم يبق على المائدة إلا غلاف ورق عليه بقعة زيت ونصف فطيرة فقدت كل السكر من على سطحها .. فم خال ورغبة مفقودة.
قال: من قتل أبي ؟
قالت: هل شبعت ؟
قال : لماذا لم تحبيه كما كان يحبك ؟
قالت: كان يكتب عني أشياء جميلة أليس كذلك؟
قال : هل تعرفين لم قُتِل ؟
قالت: هل أحضر لك سكر ؟
قال: لماذا ؟

تخطفه خطوات مخنوقة عن مقعده، يقوم إلى دوائر حائرة وعلامات استفهام وشك ! النور حكاية أخرى من الحكايات القديمة، حلم الأعمى والغريب وأصحاب القلوب الأسيرة.
يدخل الهلالي إلى المطبخ .. يدور على خطواته الصغيرة في فلك أمه، يتورد وجهه لنصف وجه الفطيرة، بقية نصيب اليتيم .. قطوفها دانية .. تباغتها دموع قديمة، تغالب البكاء، يطاردها بعين ظمآنة تتسول، لكنها تفرش فوق ألمها ابتسامة، تنثر سكراً على الوجه الأصفر، وتحاول أن تقتسم معهما البقية الباقية من الفطيرة.

شانشيلا

يمين شمال .. يمين شمال، يسقط حتى يصعد فيسقط من جديد، يصعد فيسقط.. الساعة تتبعه.
يلهث خلف اللحظات المتسربة من الأعمار ولا يتوقف عن الطقطقة... اقترفتْ إثماً ثم أقامتْ صلاةً، مازالت تجمع وتطرح ثم تقسم، تقيم الدنيا لتقعدها على إيقاعه المنتظم أحياناً وتتمرد كل الوقت الباقي، تسعى بكل طاقتها من أجل مذاق يرضيها والمذاقات المسموحة.
للطَعمِ معنى وقيمة باهته .. يبرد كوب الشاي من فرط الإهمَال، يفقد رونقه ويصبح ماء شوهت الدنيا لونه بلا هدف.. ما أسخف طعم السكر في شاي بارد.
طول الوقت كان يناضل كالمحموم حتى لا يفقد كوب الشاي حرارته.. قام بأشياء تشبه إجراءات أمه كلما عنَّ لها أن تحميه من البرد في خروجه من الحمام، كأمرها بألا يفتح النافذة بغرفته، وألا يخرج منها فور دخوله.. وملابسه لابد وأن تتوالى طبقات فوق الجسد الساخن.. لابد وأن يبقى في دفءٍ مضمون..
الشعر المبتل يشكل تهديداً آخر.. لا تترك شعرك مبتلاً... وامنح نفسك عشر دقائق.. مجرد عشر دقائق في تلك القِنينة.. امزج خوفك بالصبر فتأمن شر البرد ونزلاته...
البرد ينحر في كوب الشاي.. يخدعه، يسرق منه حرارته... داخل دقات الساعة يختبئ ويتسلل بنجاح في صمت حتى يفعل فعلته دون مواجهة ودون رقيب.. تتسرب سخونة كوب الشاي

تباعاً والوقت يمر... كان يناضل خلف الساعة.. وضد البرد، مازال يتابع غلق نوافذه، يضيف غطاء فوق الكوب.. ويحاذر ألا يفقد مكمنه الدافئ قرب الموقد...
أما هي فقد كانت تسعى في كل الأمكنة... تُطَيِّرُ في كل الأنحاء أفعالا صاخبة، أحياناً ضاحكة، وكلاماً له نمنمات ونسمات، لا يسمعها أحد من خارجها... كأن الصوت نقش في صمتها... لكن قريباً في الداخل يسمعها، يتفرس في كل ملامح الصوت، يتذوقه ويستعيد.
الساعة تجري، سكون حذر يفرض نفسه، يؤكد في الأفق حالة شوق وتربص... تنثر خطوات مسرعة وتسرب نظرةً إليه.. كانت تتفقده.. كان يطارد بعض البرد المتسلل، تلقت صوتاً، كان يدثر قلبه بدعاء..
أشياء متجددة... ساخنة جداً تتألق بين يديها.. تصنعها، تنسقها، تمددها فوق المائدة غارقة في رائحة فواحة .. ينفرط الضوء القادم من كبد الشمس الراحلة، الساعة تعلن أن المغرب قريب.
تذهب وتجيء تحمل أطباقاً.. وسلاسل من طرح الفرن الفضي اللامع داخل مطبخها... كالنحلة تتحرك .. تطير.. تحط .. وتطن .. لكي تُخصِب ولكي تصنع شهداً. حولها، قبلها وبعدها ... يبعثرون الخطوات... وبأياديهم الصغيرة يحملون أشياءها... يكلمونها.. تضحك معهم... يسألونها.. وتجيب عليهم.. آذان المغرب يقبل بدلال وببطءٍ... يعد بخير ويبدو منسجماً.. تراه وتتبسم.. تدرك قرب مواعيد الفرحة..
كل عام وأنت جميلة كل عام وأنت أمهم.. هكذا أخبرها حين اقترب..نظر إلى المائدة وضحك....
قالت:ماذا هناك..؟

قال:الآن... سيفطر من صام لوجه الله
قالت:الآن... سيحين الموعد الآن..؟
في لهفة أطفال نظرت للأطفال وقَدِمَت تتسابق معهم.. تحمل أرزاً يحمل قطعاً مقلية من لحم الأرنب.. والأرنب من عائلة الشانشيلا .. لا يصلح إلا لحما من أجل عائلة أخرى.
وجدوه على المائدة يجلس منتظراً يحمل كوب الشاي ذي الدفء المتداعي.. كان يحملق فيه...
قالوا: بابا قد استيقظ ..
قالت: احذر.. لم يحن المغرب بعد.. ليس أوان الشاي لا تشرب..
البرد مازال يهدد كوب الشاي... ابتسم المغرب في عينيها وانطلق الآذان، ابتسمت، ضحك الأولاد... وبدأ هو بكوب الشاي الدافئ بالكاد!
نظرة عينيه تراودها.. وكانت شاردة منقسمة ما بين الحلم وقائمة حساب قديم.. تمنحهم ترضية تتلو ترضية من آخر أنسجة القلب. تمنحهم قطعاً متتالية من لحم الشانشيلا الراقد في جبل الأرز الصامد منذ العصر.

كثير من الدمى .. بقليل من الخشب

عندما تعودين سأدشن لك طاحونة عشق من جديد وأقيم لنفسي مذبحة ثم أدفنها في قبورك طوعا وأنتظر مع الآخرين لعلك تجودين على أي منا بالجنة .. عندما تغيب الشمس وتشرقين لن تفوح رائحة الموت من رمل القبور ... ستنقضي وحشة الليل للأبد.. ستصبح الألعاب دينا والمرح صلاة وسيصبح الخمر تسابيح لمن آمن بك ومن كفر ....
تمددت التعاويذ واستشرت التهاويم في كل مناطق نفوذي... فأثقلت علي وانتهيت إلى الفراش ... تواتر النوم على قلبي طبقات وشرائح وركام .... حتى غاب كل شيء ...
من الخلف كانت امرأة.. شعر طويل خصر مبين وساقان سارحتان ..على كتفها حزام تتدلى منه حقيبة تبدو ثقيلة .. تسير في طريق كثيف الظلام، يمسك يدها طفل صغير .. يجاهدان معاً وينحتان سويا في الطريق.
من الأمام كانت أنثى ساحقة الجمال تحمل حقيبة ثقيلة.. يسحبها في عنف قزم بغيض كأنه ضبع يسحل ظبيا بعد غزوة صيد... يتجاوزان بقاع الضوء الباهت إلى الظلام الممزق ويعيدان الكرة كلما نهش الضبع من الطريق بضعة أمتار .. الطريق ممتد من الظلام إلى الظلام.. عمائر صامتة تحف جانبيه ورصيفان وأشجار .. يغيبان في المشي زمنا.
ساحر يأتي من الأمام الغريب، يلبس جلبابا يحمل قفة ويرسل صخبا أجشا كنفير حرب ... نوبة صرع تعتصر كل ما يمكن اعتصاره ... يسعى نحو الضبع وفريسته بتربص وإصرار.

من الخلف البعيد شبح قادم غارق في سواده وظلام الليل... خطواته صمت... يقتفي أثرهما بدقة... يقترب بتصميم .. رغم أنه مازال يدين بالكثير لكي يلحق بالركب.
القزم البغيض يجوب الظلام بنظره يتفحص .. يتشمم .. ويجابه الهواء البارد بوجه غاضب غير حليق .. يتدلى من فمه خيط لعاب والأنثى لا تشي إلا بتفاصيلها الفاتنة وخطواتها المسفوحة عنوة في أثر القزم.
تضيق المسافات ويقترب الساحر كثيرا .. يقف أمامهما .. يسد منافذ الطريق .. يكيل نظرات التحدي لوجه القزم بلا هوادة ويستكمل صياحه وتلويحه .. الرعب يعبث بمفاصل الحسناء المتداعية أصلا ... والقزم لا يبالي .. لا يتوقف .. يسحق إرادتها يجذب يدها ويتقدم على جثة الطريق المقتول تحت أقدام الساحر ... اقتربا ... قتلا المسافة بينهما حتى ماتت .. لم يلق القزم على الساحر نظرة .. ألقى خطوة على قدمه وعبره بالثانية .. تجاوزه كأنه دخان .. بقية ذراعه تعبر الجسد وتجذب المرأة لكنها ترتطم... أوقف جسد الساحر زحفها كأنه جدار.
لم تعبر الأنثى... ولم يفلت القزم يده ... القزم الضبع يسحبها نحوه أكثر ...جسد المرأة يزداد التصاقا بالساحر والساحر منتصب كجدار حصن .. يزمجر القزم .. تصرخ المرأة ويزداد صياح الساحر صخبا .. الحقيبة لا تزال مشنوقة على كتفها. يبرز ثدي المرأة من ملابسها ويتآكل جلباب الساحر كأن القِدَم تسلط عليه .. يلتصق الثدي ببشرته المشعرة الخشنة ويذوب عليها بينما يذوب وجهها على رقبته... يتشنج جسد الساحر ويضم عليها ذراعيه .. ويهمهم تعاويذ إضافية فتغوص المرأة في جلده حتى تصبح وشما على صدره وبطنه

وفخذيه ويغيب صراخها شيئا فشيئا ... تؤول ألوانها إلى سواد.
عندما سقط القزم على الأرض وتدحرج ... سقط وفي يده كف امرأة ومعصمها .. قفز على قدميه ...دار حول نفسه .. امتقع وزمجر .. تزايد الزبد على فمه واستطال خيط اللعاب ... عاد نحو الساحر يبحث عنها ... والكف بمعصمه ما زالا في قبضة يده.
عندما ذابت المرأة في جسد الساحر تهاوت الحقيبة على الأرض ومضى الساحر يسعى إليها ليحملها ... من الخلف أصبح رجلا عريانا يحمل حقيبة ثقيلة تتدلى من حزام مشنوق إلى كتفه ... من الأمام أصبح امرأة على كتفها حزام تتدلى منه حقيبة ثقيلة تمشي في طريق ليلي كثيف الظلام يمسك يدها طفل صغير القامة والخطو ... يجاهد ضدها وكل منهما ينحت طريق الآخر.
مرت بقعة ضوء .. مرت بقعة ظلام ... تحول الخلف إلى أمام والأمام إلى خلف.
يحمل الطريق الساحر إلى مواجهة الشبح الذي كان قادما من الخلف .. أخذت أتمتم يا لطيف .. يا لطيف ... مددت يدا فأمسكت الحقيبة ومددت يدا فلمست ظهر الفاتنة ... مددت يدا فاصطدمت برأس القزم ومددت يدا فلمحت عينا تدمع في الظلام ... تفرست فيها فوجدت وجه شبح ... تفرست فيه فكان وجهي .. تحسست رقبتي فسمعت صوت المرأة تقول آه .. أسقطني صوتها للخلف خطوه ... تعثرت في أطفال عرايا بوجوه فيها من وجه الساحر والحسناء ... حركت نفسي للأمام فوقعت في بقعة ضوء، تتبعوني فوجدتهم يشبهوني .. جريت كثيرا .. استبدلت النور بالظلام والظلام بالنور حتى

وجدني شاطئ النهر ووجدت وجهي يطفو على سطح الماء ... مع مرور الوقت التف حولي الصباح وكلب وخبز ووشم .. كلما تزايد صخب الناس ونور الصباح تزداد الحركة بطئا .. رويدا رويدا سيطرت الشمس أعلنت الظهيرة قهرا على رؤوس العباد فتوقفت كل التحركات.

لم يعد لدي ما أفعله ... انتهيت إلى الفراش ونمت كثيرا

عندما تعودين سوف أقيم مملكة للهوى أرسم فيها قامات عملاقة وأمنع عنها السحرة وأحيل بها عاصمة الخراب ترابا .. في التابوت الخشبي تحول الملك إلى جثة... بدا الملك كأنه قزم قبيح يشبه الضبع ويمسك في قبضته هيكل عظمي لبقية كف متكسر وبقية معصم.

ملحوظات في سجلات سم العقرب

أرض العقرب منفية، قارعة طريق في بلد ميت أو صحراء أو خرابة، زمان العقرب أعمى يأتي ليلا ولا يبصر نفسه، فوق النور المسترسل سؤال، كيف يستطيع الناس على المقاعد الأثيرة أن يصبحوا مخطوطات في سجلات سم العقرب ؟

(١)

سقطت الذبابة في كوب القهوة، هذه المرة حدث السقوط يقيناً رغم صعوبات المنطق والسخونة وغريزة الحياة التي لا تخيب !

رأيتها عندما حان قطاف الرشفة الأولى .. يتمدد جناحاها بأطراف غائبة في الأبخرة المتصاعدة، ويطفو جسدها الأسود على السطح الساخن، ماتت.

مسموم كوب القهوة ويثير القرف، شيء محزن، كم كنت أتوق إليه وأتمناه!

(٢)

يقفز من وجه مسكين، يسرق في خبث نظرة، يتابع التطورات بحرص، يعيد الجفن المنسدل إلى ما كان عليه والرجل الآخر يغرق في حزن، يحوقل، ويقول: مصيبة طبعاً! يمسح دمعة فرت، يقوم إليه ويحتضنه، يحمل عنه كفه، يقول لا تخش الوحدة يا ابن أرضي وزماني.

يدفئه الرجل بحفنة مال فيها عطر نادر .. يخرج مبتهجاً يضحك ويدخن سيجارة، لكن بالداخل كان هناك قلب فيه ألم.

(٣)

أنا متأكدة أنك ستتفهم الموقف، قالتها ثم تركته ومضت، لم تعد مرة أخرى.
أنا متأكد من قدرتك على التحمل من أجل الجميع، قالها وسلمه خطاب فصل من العمل.
أنا متأكد أنه لا فرق بيننا، قالها بعد أن أخذ آخر عشرة جنيهات في جيبه لأنه في يوم ما أقسم أن يساعده مهما كانت الظروف.
أنت مخطئ ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، قالتها وصفعته على وجهه لأنه قال لها أحبك.
وسط الزحام، أمام السيارة التي كانت مسرعة، نظروا كلهم إليه وهو مضرج في دمائه يبكي من الألم، قالوا: شد حيلك، كن بطلاً، كن جاداً، ليس هذا ما يفعله الرجال.

(٤)

بعيداً عن الجميع، داخل قوقعة في قاع بحر، يحاول أن يقضي عمره القصير في سلام، لكن أحداً أسقط رملا عن عمد داخله، يؤلمه جداً، فما بالداخل يقتل إن ساءت نيته حتى ولو كان حبة رمل.
ينزف دمعاً وصراخاً وسوائل جسدٍ رقيق، يحارب الألم بجسارة وإصرار، يتمزق جلده، عندما ينتصر الألم، يتسمم في كل أنحائِهِ، يموت.

جثته ترقد على قطعة قطيفة حمراء أمام امرأة مفتونة، الجميع متفقون على أنه أجمل حبة لؤلؤ صُنِعت منذ خمسين عاماً.

نهاوند

لم تتعمد أن تلفت نظره .. كما لم يرها عندما فرت إلى آخر كراسي الحديقة الجاثمة بجوار سور مدرسة البنات، لكن شيئا ما حدث .. في موعد صلاة الشمس .. في البرد والصباح الباكر .. وفي حضرتهما، قرر الوجود أن يمنحهما حبا .. وحرص أن يتحالف على ذلك مع كل ندمائه .. أصبحت السماء هادئة وديعة .. تمادت في تحرير ألوانها الزرقاء .. غطت الشمس بسحابات صغيرة متتابعة .. فبدت وكأنها قط يتخابث في كسل.

الهواء يسري ناعما.. سرق عطرا من دكان وليم عبد الملاك وأطلقه في أجواء الميدان المحفوف بالتراب والجيران النائمين .. يعربد في دلال بأناقة كأنه ساحل بحر يلبس ألوانا من اليود موشحا بالرمل وضجيجٍ بعيد خافت.

قرر الطريق أن يكونَ بسيطا بلا بشر على غير عاداته التاريخية، حتى الحديقة الفقيرة قررت أن ترتدي جوا شاعريا وثيق الصلة بالقلوب والبكور والندى.

تحالف الجميع من أجل الحب إلا هو وهي .. تجلس على الكرسي الخشبي المتطرف تعابث الصور والمقالات في مجلة أنيقة .. تقلب صفحة في فتور وتكرس اهتمامها على أخرى ثم تعود إلى الأولى في لهفة كأنها توقع بينهما.

يلعب هو مع كلبه مستغلا كل المساحات الصغيرة المتاحة داخل الحديقة غير عابئ بقلتها .. يزين ملامحه بالرضا فالدنيا

تتكون من الأرض وكلبه وهو.. يباعد بين قدميه لكي يصارع كلبه، وتقوم من دفئها لكي تشتري حلوى إضافية.
يجلس على العشب لكي يستريح وتلقي هي ببقية غلاف الحلوى في سلة المهملات القريبة، في جلسته يتذكر جيهان التي يملأ بها تصدعاته وتساقطاته ويعلن عليها التعبئة العامة كلما تفكك، صورتها تراوده عن سكينته بنصف وجه .. نصف فم ... نصف أنف وعين عارية .. سرقت منه سنوات كثيرة.
أما هي ففي عودتها إلى المجلة كانت تستدعي أجزاءً من أحلامها القادمة وهوامش الإناث .. لون وردي .. ملمس قماش ناعم .. فستان فرح .. التقطت زهرة من كومة عشب ومضت إلى غايتها... أشياء بسيطة مشوشة بلا خطط أو ملامح ... فهي ما زالت في بهو استقبال الدنيا ... مازال حلمها مفككا.
في أيام البرد وأيام الشتاء كثيرا ما تحدث أشياء بيننا وتفر قبل أن نستكمل إحساسنا بها .. نتبادل العيون والأحزان وحقائب الحواديت .. ربما نسعى إلى تبادل معاطفنا طامحين إلى الدفء البعيد الممتع .. وكثيرا ما نجد أن معاطفنا الأصلية كانت أكثر دفئا.
"شهيرة" من النساء اللافتات للنظر ... جميلة تطرح الأطماع على الرجال كاختيار مبدئي، و"ساهر" رجل تناول من رصيد عمره أربعين سنة على الأقل، هضمها وامتص عصارتها بقدر ما سمحت أمعاؤه ويريد المزيد.
تنوعت شهيرة في جلستها .. اتكأت وتداعت .. وضعت رجلا على رجل .. انثنت للأمام واستسلمت للخلف، في كل الأحوال كانت المجلة تعوم على جسدها كي لا تضيع من عينيها، إن

شهيرة تتحرى عن امرأة بكر تعيش في خلايا شفتيها وخصرها وشعرها المتدلي بالكاد إلى حدود ذقنها في دلال .. تدعي شهيرة بقاءها في الفراغ والفراغ لا يكذبها لكنه يسر معها الحكاية الحقيقية.
ساهر لم يعد يقرر شيئا في حياته، لكنه يتجاوب .. يجري الكلب فيجري معه .. يجلس الكلب فيجلس معه، لقد تعلم ألا يقرر، لأنه اكتشف بعد سنين من القرارات أن التقرير فعل حصاد لا يغرس بل يقطف من شجرة ... وتلك نبتة لم يزرعها أحد فيه من قبل .. ولا حتى الزمن.
مازال يجلس على الأرض والهواء يتراكم فوقه وتعبه والطفيليات وملل كلبه وملله، لقد تحول ساهر إلى كومة كبيرة من الأشياء لها عينان شاردتان وشعر لا يتطاير مع الهواء.
لابد وأن تامر حسني يمثل نمطا هاما في موسوعة شهوات النساء لكن هل هو في الأساس رجل حقيقي .. هذا ما تفكر فيه شهيرة الآن عندما دفعت المجلة إليها بصورته الكبيرة جدا وهو يبتسم، هل توافقين على أن تكوني زوجته .. طبعا أوافق ولم لا؟
تامر يساوي طن فلوس وطنَّين من النفوذ واتصالات ومعارف إنه حكاية كبيرة.. ياريت هو يوافق .. وده ممكن يوافق ازاي؟ يعني بكل المعجبات حواليه في كل مكان ... لكن ماذا عن الحب والألفة واللهفة؟؟ ضحكت فيما يؤول للصمت... حسين فهمي كمان حلو .. وبدأت في قراءة تحقيق عن حسين فهمي يقبع تحت صورته المبتسمة معظم الوقت.
عندما مرت شهيرة أمام ساهر أعجبها الكلب كثيرا ومستها من الداخل جلسته مع صاحبه في هدوء وثير فاخر، مدت يدها لتربت على الكلب ثم ترددت فوضعها ساهر في نظرة طويلة

متأملة ثم تحفز من أجل الكلام .. ابتسم الوجود ونظر إلى السماء فنظرت للحديقة، لكزت الحديقة النسيم لكزة خفيفة وعندما استدار إليها ألقت بعض وريقات الشجر في طريقه فنثرها على أقدام ساهر وشهيرة والكلب.
قال لها ساهر: ما تخافيش سلمي عليه.
قالت له: كلبك شكله حلو قوي .. باين عليه غالي.
قال لها: هو فعلا غالي أنا لا استطيع العيش بدونه إنه أهم شيء في حياتي.
قالت له: كنت أقصد ثمنه.
قال لها: ليس له ثمن.
ضحكت وقالت: سرقته أم أخذته هدية.
قال: اشتريته.
قالت: يعني بثمن .. بفلوس.
قال: كما قدرها صاحبه القديم ولم أفاوضه.
قالت: كم دفعت فيه؟.
قال: وكم دفعوا فيك.
قالت: لا أدري... ربما تكاليف الولادة وبعض الأشياء الأخرى.
قال: وهل هذا ثمنك.
قالت: فهمت قصدك.
ضحك وقال: أخذت وقتا طويلا يا ....
قالت: شهيرة يا ....
قال: ساهر.
جلست بدون دعوة وقبل مُرَحِّبا .. تفرع الكلام ..تنوعت اللفتات والتلميحات .. الوجود يراقب والأعوان يتوافدون

عليهما تباعا ... تتوالى الساعات والألفة تتسلل.. وتستشري في أذنيهما والعينين والقلب والدماغ.
قبل صلاة الظل التي تبدأ في أعقاب فورة النهار مست يده كأنها أخطأت فأمسك يدها كأنه جريء .. يحتويها داخل ذراعه وبعد دقائق من الكلام يمضيان صوب مطعم قريب من أجل وجبة سريعة والكلب يقفز حولهما من حين لحين كلما أتاح له ساهر الفرصة لكي يبدي فرحته.
أما في المسجد المقابل للمطعم على الجهة الأخرى من الطريق... فتتابعت نقرات من صدر الميكروفون للاختبار ثم تدفقت تلاوة الإقامة... وبدأ توافد المارة في الشارع يصبح أكثر كثافة.

معتادا.. زحف

صباح يجلس على أكتاف الجميع بكل أحماله وأثقاله .. تتدلى أرجله الطويلة على أجساد الناس، يركلهم بكعبيه كلما تحركوا، يؤلمهم أحيانا، يخيفهم أحيانا، ويشوش على نغمات أنفاسهم طوال الوقت عامدا مع سبق الاصرار والترصد... لم يغفر هذا الصباح لأحد من مذنبي صباح الأمس بكل حزم، وغفر لكل مذنبيه إلا من تساقط بفعل الغفلة.

جامع مانع يثابر في ركل الصدور والسخرية ... كما يثابر في نحت الطرقات للسائرين وحرث أرواحهم، .. كلهم مثابرون يتتبعون الصباح منذ باكورته الباكرة.

شرطي يقف داخل زيه عاريا من الجميع ... يدير حركة الحياة في شارع رمسيس، مراهق ريفي يفرد الأسفلت للسيارات ويطويه وهي بدورها تمنح الإذن للسائرين بالعبور وتمنعه، عاقد الحاجبين بوجه تتآكل صبغته تباعا تحت وطأه الهزال وقلة الحوار مع الماء والصابون، نظرته تدعي الحسم بلا ركن حصين، عودوه أن يلقي بنفسه وسط الشارع العريض عندما تأتيه الأوامر.

الايمان يقتضي أن تتمدد في وسط الطريق لكي ترسل اشارات لا تصدقها والاخلاص يقتضي أن تتفانى في ذلك حتى الموت..فمن الوارد جدا أن يقتلك ذلك الإخلاص، لن تستجيب السيارات لجسد شرطي الا عبر معادلة بالغة التعقيد، ملامح وجهه و أطوال ذراعيه لن يكونا في عناصرها، أثناء

ممارسة العبور لا أرى إلا أذن الشرطي لأن وجهه باق في حضره الفراغ الذي سيمنحه للسيارات المتوقفة على مضض.
إبرام اتفاق مع زبون حمل ثقيل .. حمل على القلب والعقل رهان على المحك، فهو أن تكون أو لا تكون، تأكل أو لا تأكل، تكسب أو تدفع من جيبك بعد الكد، الاتفاق مع الزبون ينهك آدميتي، انه اجهاد مفرغ يشبه حوار عاهرة مع زير نساء عربي داخل شقة رخيصة ..هي تسعى لوجبة إفطار بعد ساعات من الهتك، وهو يسعى إلى ملحمة من الجنس والعذاب يداري بها بعضا من حطامه.. حوار يشي بقلة الحيلة والغباء رغم ما يصدرانه لبعضهما من مظاهر الحيلة الواسعة.

ما رأيك يا باشا؟
هل ستدفع لنبدأ.. لو دفعت الآن سنبدأ العمل غدا.
قال: لا.. ابدأ فأدفع... ونفعل الآن وليس غدا.
قلت: تعال ننصف الأحمال.. أدفع فنفعل.. فتدفع ونرحل.

لابد أن يكون العبور في أقصر وقت ممكن، صبر شارع رمسيس قليل، لا يحب أقدام المارة رغم ولعه بعجلات السيارات، عند الرحيل من الرصيف إلى الرصيف لا تكون الفرص متاحة للتروي والتأمل ومع ذلك تأملت أذنه التي استولت على مجال إبصاري في خطوات كثيرة، أذن الجندي صغيرة، لها شكل مميز متكررفي رؤوس صبيان الريف الفقراء، غضاريف صوانها سميك وجلدها مليء بالزغب، أغلب الظن انها تسمع بالأمر فقط.
توقفتُ في لحظة رعونه أمامها وسألتُه فَلَمْ يرد، اقتربت ووضعت فمي قبالتها، رفعت صوتي كثيرا، لم ينظر نحوي

ولم يكن ينظر للسيارات التي تمطره بأبواقـها، أوقـفت المغامرة واستكملت العبور ...تركته مستغرقا في اللاسلكي يسمعه باهتمام ويرد في اختصار... صفير متقطع وخروشة وكلام بلا حروف .. لكنه دوما لديه رد..تمام يا باشا.

على كنبة الأنتريه القديمة تجلس العاهرة ملتصقة بزير النساء النحيف تصدر له ثدييها اللذين اعتادا الفرار قليلا من حمالة الصدر وترقبه من حيث لا يراها بعينين خبيرتين.. تقول في دلال: مائة جنيه قليلة جدا ... أنت شاطر قوي.. أنت حتزعلني منك كده... أنت عايز تزعل عواطف بتاعتك يا باشا؟

قال: أنا كده بقى حازعل منك.
قلتُ: لماذا؟
قال: أنت مش واثق في وللا إيه؟.. أنا لا آكل حقوق الناس.
قلت: نحن لن نضع المال في جيوبنا سنشتري به لوازم العمل.. نحن قوم فقراء.. والله أنا مافيش في جيبي ولا مليم.
في الخفاء كنت أضغط بالإبهام لأتحسس طقطقة ورقة العشرين جنيها في جيب البنطلون الخلفي .. قلت له: أنا عمري ما هأغشك يا باشا.
أحسست بركلة من كعب قدم الصباح في قفصي الصدري، كانت مؤلمة..
عندما تركت الشرطي في عمق شارع رمسيس هرولت كي لا أفقد الرصيف الآمن في وقت غير مأمون.. توقفت فاصطدم بظهري فقد كان يعبر في إثري وهو يقول.... فتحنا يا كريم باشا..

لم ينظر نحوي كان منشغلا في تحرير مخالفة من فوق الرصيف لسيارة اصطفاها من طوفان الفارين قبل أوان الإشارة الخضراء..

قال لي: اسمع .. أنا بادفع فلوس مقابل شغل، خلص شغلك وتعال اقبض، والمؤن مسؤوليتك، أو أشتريها لك أنا وده آخر كلام.

عواطف عارية الصدر تماما تسمع آخر بنود الاتفاق كأنها توقع عليه... لو انبسطت مِنِك حابسطك على الآخر وده آخر كلام عندي .. كان يتكلم أثناء عبثه لاتمام مهمة زنا لشبه رجل.

تخارج زبوني من التجار بصعوبة وهو يحاول العودة بأخف الأحمال... كنت أحمل معظم الأشياء على كتفي ، عبرنا الشارع نفس المراحل مرة أخرى، الرصيف ..الأسفلت ..الشرطي الذي ينصت لطنين اللاسلكي باهتمام ..
قابلنا بائع مناديل ينادي بصوت غير خفيض: مناديل... اشتري مناديل يا هانم ..اشتري مناديل يا بيه ...اشتروا ياجزم يا ولاد الوسخه.
تم الاتفاق... دفع زبوني الشحيح أكثر مما ينبغي في مؤن العمل... لي في ذمته مصنعيه وفي ذمة البائعين سمسرة، أفكرالآن في طريقة لتفريغ اليوم من أعمال الزبون قبل وداع بقايا الصباح، أريد العودة إلى البيت ، إن لدي غضبا دفينا يتوق الى ضفائرعواطف وكثير من الطعام.

ريموت كونترول

أمام التلفزيون أريكة كبيرة ومنضدة ووسائد ملونة متناثرة في أماكن الجلوس والمشي .. خلف التلفزيون حائط بدهان من البلاستيك الأخضر وتحت التلفزيون جريدة قديمة نسيها منذ أسابيع لتظل ملتصقة بواحد من قوائمه وتصفر مع مرور الزمن... فوق التلفزيون علبة سي دي مفتوحة نائمة إلى جوار الريموت كونترول منذ ساعات.
دخل في عجالة .. استولى على الريموت وسقطت علبة السي دي محدثة ضجيجا فقيرا يناسب هشاشة خامتها وتبعثرت إلى جزأين وورقه .. تجاهلها وضغط الريموت فأصبح داخل التلفزيون امرأة جميلة ترقص .. ضغط على الريموت في مكان آخر فأصبح داخل التلفزيون كلب يجري خلف قط في مشهد من الكارتون .. ضغط فظهرت قائمة زرقاء .. ضغط فأصبح في التلفزيون مباراة كرة تراجع بخطوات بطيئة إلى الأريكة وتفادى المنضدة في آخر لحظة ثم استدار لكي لا يطيح بكرسي منسي .. خطوة جانبيه برشاقة واستلقى على الأريكة متابعا المباراة في اهتمام، يجري اللاعبون تجاه المرمى الأيسر ثم يتوقفون .. يعودون إلى المرمى الأيمن ثم يتوقفون .. يشرب جرعة من عصير طماطم شديد الحمرة .. يعودون تجاه المرمى الأيسر لكنهم يجرون مرة أخرى تجاه المرمى الأيمن .. شرب جرعة جديدة.
يخترق جرس الباب الحياة إلى عقله كالسهم فيفتحه ليجد "مرادا" على الباب أشعث الغضب بقامته الفارعة يسدد

نظرات خطرة تجاه كل الأشياء .. تغير مزاجه كثيرا فبدا وجهه وكأن صبغة من القلق الداكن والخوف الأصفر واللاصبر قد غطت تفاصيله .. سدد عطفا سينمائيا إلى كتف "مراد" أثناء جلوسه أمام التلفزيون ومنحه كوبا من عصيره القاني وجلس في وضع يراه جيدا .. صنعا بأرجلهما زاوية قائمه وقال له: هل هناك جديد؟
قال مراد وهو ينظر تجاه التلفزيون :لا.
أيها القوي الأبله أنت لا تعرف شيئا ألن تنتهي هذه القصة يا مراد .. الموضوع يتطور للأسوأ ..
يفد اللاعبون إلى المرمى الأيسر تباعا ثم يتوقفون ..
تستطيع التدخل لصالحي باستخدام سلطاتك وسأفعل ما بوسعي للسعي ورائك .. ألم أقل إنك أبله... لن يستطيع القانون أن يفعل شيئا معهم .. القانون أرض زلقه ما لم يكن لديك معدات مناسبة للسير عليها.. لن تخطو فوقه خطوة واحدة ما دمنا في عصر غياب الأدوات..
يذهب اللاعبون إلى المرمى الأيمن في تجمع مزدحم ثم يتوقفون ..
هؤلاء المجرمون قتلوا كلبي ولن أتركهم يفلتون بما فعلوا لابد أن يدفعوا ثمنا ما .. تكون مخطئا لو تصورت أنك قد فهمت كل شيء .. إنهم أقوياء ومخادعون لكن هناك تفاصيل هامة مازالت تقبع في الخفاء .. لا داعي للفهم الآن .. لست في حاجه لعقلي .. الحرب لا يلزمها إلا رصاصات للقتل وأجساد لكي تُقتَل .. أنت لا تفهم .. لا يوجد رأس لتقطعه إنه تكتل كبير ..
سأقتل الرجل المحرك خلف التكتل في الكواليس.

يتقابل اللاعبون في منتصف الملعب ويسقط أحدهم مضروبا فيتوقفون..
هناك أرواح مضطربة يا مراد تظن أنه لابد من شخص وحيد مسؤول عن كل شيء وعلينا أن نسحقه بطريقة ما لكي نحل المشكلة .. وهذا واحد من الخلافات الأساسية بيننا.
أحرز بعض اللاعبين هدفا وانتهى الشوط الأول منتجا ثلاثة مصابين وأربع بطاقات صفراء.
خرج مراد بكل محتوياته من الغضب والمطالب والغموض إلى الشارع ساعيا إلى مكان ما بغير قصد في طريقه إلى مكان آخر. أما هو فقد عاد إلى الأريكة شاردا يستأنف انتظارا جديداً للشوط الثاني وبقية الأحداث لعله يخرج بنتيجة ترضيه.

يرسم دائرة

شاي يا سعيد ... شاي في الخمسينة بنعناع .. يا سلام .. لو كان لديكم كركديه بارد وسندويتشات .. لماذا لا تصنعون سندويتشات يا سعيد؟ عطشان وجعان .. أريد دفئا .. بردا وسلاما ... هل تعرفون طريقة كريمة لطلب الرحمة من البشر يا بشر؟ سيارتي تحتاج لترميم وصيانة كاملة، وأنا في أمس الحاجة لطبيب ... بل أطباء .. وحيد .. تعبان نفسيا.. روحي قلقة.. أبحث عن وطن .. الأوطان شحيحه .. المتاح منها ضيق والمتسع منها وهم وسراب .. لم تعد الأوضاع كما كانت في الماضي .. الأوطان أصبحت مناظر سينمائية ولعب تعمل بالكهرباء .. فندق وبازار ومصنع.

أصبح الآن يجلس فوق الكرسي ويلملم آثار خطواته.. يعقد ساقيه وذراعيه يعابث الآخرين بنظراته .. يستجدي رد فعل من جوف هذا المقهى عليل الضوء .. ثم يوزع النظرات .. لكن لا أحد يرد ..

كأنهما ياقوت ومرجان ... فبأي آلاء ربهما يردان

يتدحرج صوت النرد ويتتابع حتى يخمد .. أوقفته جدران الطاولة .. الشاعر يلعب دوراً من نار مع الرسام .. لم تتأخر فرقعة الطابات .. فلم يكن أي منهما يفكر .. ألصق حركة طاباته في آخر صوت نرد صديقه كأن اللعبة معادة .. والحركات معروفة سلفاً.. كأنهما يقرآن الغيب ... بول يتلو بعضه بعضا.

-اليوم هو آخر أيام المؤتمر القومي..

-صبراً .. ستدفع .. مشروبات اليوم .. العشرة لي.
-بل هي لي يا شاعر .. أنا أقرب جداً... لم يبق إلا شكليات حتى تصبح مهزوما ... هل لي بالنرد يا فتى ؟
فجأة وفي استثناء يشبه سقطة حدثت بلا أسباب .... انكسر سلسال غيبوبة اللعب فوجداه على كرسي بجوارهما يسكت .. يجلس ويحدق .. فأضافاه إلى بقعة صوت وسط حوار النرد والخشب..
-ماذا عندك... لِمَ كل هذه الجلبة والطلبات ؟
الجلبة حكايات في الشكوى والأحلام، كلام بلا ثمن ، الطلبات كلها سهلة وموجودة .. مجرد شاي على كركديه..
-لك منا السهل .. ماذا تريد ؟ شاي أم كركديه؟
-أريد ساندويتش.
-هات له كركديه يا سعيد.
-أريد وطناً فسيحاً...ساعدوني على الهجرة.
-ومالها مصر ؟!
سقط الشاعر في براثن الهزيمة المؤجلة.. العشرة من نصيب الرسام.. والمشروبات نصيب مقسوم للجميع.
لا وعد بوطن.. أبيات الشعر العربي الآن عاجزة لا يمكنها أن تفتح أبوابها.. الشعر هو كذب الصادقين .. ولا صدق اليوم.
- لماذا تريد الهجرة .. هل حقاً تبحث عن وطن؟
ملعون ذاك الذاهب في درب العودة.
-ليست تلك هي العودة ... العودة سلمى وأمك والبيت الحائر من بعدك .. الهجرة غربة.
-الغربة ليس لها وطن.. الغربة داخلنا نعيشها حين نسمع أشياء لا تعنينا ونقول كلاما لا نعنيه .. وحين يتآمر الأمل مع اليأس فتفقد أيام العمر قيمتها ونلقيها في سلال المهملات تباعاً

.. الغربة هي أن تجلس في انتظار الحظ ليجود في لحظة ليست على بال أو خاطر.. أنا مفقود وغريب في أرضي.. وأريد العودة.. أريد وطن.
-أنت تريد ضميراً.
إصدارات الأكواب المتتالية تحمل حظاً من أجله... الكركديه البارد للأعصاب المحترقة .. والشاعر يدفع ثمن هزيمته.. تقيأوا حوار الكرة على المائدة وقليل من تاريخ الدنيا والفلسفة المجانية.. وحين تجمع الرد في جوفه صاح بهم.
-بل أنت تريد فريسة .. أنا ضمير يمشي على الأرض !
-أنت مشوش.. أنت صنيع من لم يصنع بشراً من قبل.
- تنهار الكلمات على فمه.. يسكت ويضيع من جديد بين فم الشاعر وعين الرسام .. والضوضاء .. وأبواق السيارات القادمة من الخارج .. والضحكات المجروحة بسعال الدخان .. نكات مستهلكة وتعليقات سمجة.
حدود الفجاجة مازالت مترهلة تجعل كل الأشياء سقيمة في لون كالح .. الكراسي والمناضد والحوائط وأشكال الزبائن، حتى أصداء الأصوات المترددة تعود مشوهة متكسرة.
أطرق .. شرد .. حاصره سؤال في الميدان .. ما بين النقص البالغ والحظ العاثر والأعمال السفلية .. ضاق المكان واحترقت فرص الكلام.. هجرهما .. غادر المقهى إلى الشارع من جديد .. يسعى حيث لا مكان.. لكن الأمتار المرسومة على طريق العودة للمنزل تخطفه.
ضحك .. ها هو طلب آخر قد تحقق .. إنه أرخص كثيراً من الكركديه .. فقد أصبحت العودة عادة .. أفعال يمارسها بلا وعي وبلا قرار.. ويقول الشاعر المغفل إن الذاهب في درب العودة ملعون .. بائعة الصحف السمينة جداً تقبع فوق الناصية

.. تتزين بالصحف القادمة من الغد.. والمانشيتات: إسرائيل ما زالت ترفض حق عودة اللاجئين .. مطار القاهرة يستعد لاستقبال العائدين من الخليج فى أجازات الصيف.. عودة الشارلستون إلى خطوط الموضة من جديد.. عودة شريط فضائح الفنانة ".." إلى الأسواق من جديد.
ابتاع جريدة من أجل مباراة العودة المنتظرة للمنتخب في تصفيات البطولة العظيمة .. شيء يمسكه من رقبته.. ولا يكف عن طرح الأسئلة... يكاد يلازمه طول الوقت.. يتكلم.. يعترض.. ويقرر.
القول الشائع إن الرزق يحب الخِفِّية .. لا أعرف كيف تكون الخِفِّية .. تغيرت الأدوار.. تبادل الحابل مكانه والنابل... حتى أصبحت الحرب درباً من البلاهة والخبل. أطراف الأحداث كثيراً ما توحي بدلالات متفاوتة.. لم يعرف كيف يفكر في أحداث سرقت يوم العمل المكدود .. هل يكفي أن يتكاتف مع الواجب والمسئوليات حتى ينعم بمسوح الخفية ويحوز الرزق.. الأحداث تراوده عن نفسه وتثير شجونه.. فهو بلا مرونة.. المرونة: هذا النمط الفائق القدرة على الانثناء والطي .. كما وصفها له جاره الكهل أبو عواطف إثر قدومه فوق شبشب من أجل جريدة غد اعتاد تعاطيها في مثل هذا الوقت من أجل الدوري ... وأفرد له إنصاتاً فرشه على ساعة من الزمن المجاني.
تصدح أم كلثوم من مكان خفي بالمنور .. من أجل عينيك عشقت الهوى .. استل سكينا من حوض المطبخ .. دحر قطعة جبن وملأ نصف رغيف .. جبنته البيضاء لا تشبه نجمات الجبن المتراقصة في التلفزيون .. ولا تشبه سلمى فتيات

الإعلانات... يملأ فمه بقضمة وتأكل عيناه صدر الفاتنة على الشاشة.
غمضة عين هي كل الفرق بين الليل والنهار.. الليل لا يعرف أحداً من السهارى.. كالنهار الذي لا يعرف أحداً من الكادحين.. انزلق مع الصبح وفي جبهته فراغ يفصل ما بين المخ وعظام الجمجمة من الداخل .. صور متسربة من عينيه تقطر .. سيل أصوات هادر .. أفكار مستيقظة لتوها مازالت تتحرك في رائحة النوم يسقطون جميعا في فراغ جمجمته.
مستودع الأحلام الصباحية وهموم المضطرين إلى ذبح النوم في الساعات الباكرة... يتتبع النجلاء الفارعة... يسابق خطو الجيران، يعبر عربة المدمس القابعة على مدخل الشارع وبائعة الصحف السمينه وأحلام الهجرة إلى موقف الأتوبيس القابع على يمين المقهى .. يشارك في السباق المتجدد من أجل اختزال الوقت حتى لا تضيع الدقائق الآمنة في خانة توقيعات الحضور .. ألقى نظرة على نومة سعيد المتعبة فوق طاولة منزوية على مدخل المقهى، وحيث قرر أن ينتهي به المقام في المساء.

متتالية:
شهيق .. زفير

شهيق:

ليس لدي اختيار إلا أن أحافظ على جسدي يتنفس حتى النهاية ... حتى لو كان الحزن المختبئ في أحشائي يأكلني قطعة قطعة.... لا فرار من النوم ولا اختيار في اليقظة.
كنت على وشك الوصول، وكانت المهمة على وشك الأفول طارحة لبيتي رزق الشهور القادمة حتى يستبين رزق جديد من الأرض أو السماء فإذا بمجهولين يقتحمون الحافلة وينفذون إلى مال "عبَّادي" وبضاعته .. اختفت كل الأشياء في غمضة عين .. ففي وجود السلاح وظلام الليل ومنطقة قفر تتراجع الشجاعة وتتفشى الهزائم.
قال لي: هل أنت بخير؟
قلت: لا أدري... ربما.
قال: إذا احتجت إلى البرهان اتصل بي في أي وقت.
هكذا أجابني، أعطاني بطاقة تعريفه الأنيقة قبل أن يضع نفسه في سيارته ويذوب كقطعة سكر .. ذهب ولم أره بعدها أبدا .. مازلت أذكر أرقام السيارة والندبات الواضحة على وجهه جراء حادث قديم ألم به حين كان يعمل في الغردقة ... وقد حمل المال كله ليسلمه لعبَّادي... كان رسوله في الخفاء ليخبرني أن عبَّادي لم يخسر شيئا وأنني الوحيد الذي قدر له أن يدفع الثمن.
قال: أنت كاذب.. كل الأشياء كانت ومازالت في حوزتك، وعبادي يتهمك بمحضر واضح.

قلت: هل تريدني أن أطلق النار على رأسي... سأنتحر إن لم تكف عن اتهامي.
قال: بربك ما هذا؟.. أمجنون أنت؟.. هل تريد أن تقتل نفسك!
قلت: سأقتلها لكي لا تجد من تكيل له الاتهامات بلا وعي.
قال: افعل إن كنت تريد ذلك فلا بأس... وإن كنت جبانا كما هو عهدي بك فتعلم أن تحب الحياة التي لا تستطيع أن تتركها.
ضحكت رغم كل شيء.
قلت: أنا مبتذل... لكنني مثير جدا .. هل تستطيع إنكار ذلك؟
قال: أنت لص حقير.
لماذا يعاقب القانون على الدعارة؟ لماذا لا يعاقب على الزواج؟ رغم أنهما يتشابهان في تقديم النساء مقابل المال.
عندما تأتي الشرطة تتشنج كل الأشياء في الشارع الضيق الذي يحمل بيتنا في حلقه .. بقدر ما تنخفض الأصوات ترتفع التوقعات وتتزايد فرص إلحاق الأذى بأحد ما، إما عمداً أو استسهالا أو على سبيل الخطأ.... وبقدر ما تعلو الأصوات تزداد احتمالات الأمان. كم من الضحايا سقطوا وكم من المذنبين يعيشون بين حوائطنا الهشة.
مازال خروج عبادي بكفالة يعد علامة فارقة في التاريخ عندنا .. مازال حكاية تستحق الاستماع إليها وكثيرون يطلبون حكيها من كثيرين .. لقد صفع الضابط على وجهه جهارا وعلى رؤوس الأشهاد.. وبَّخهُ ومزق سترته عندما أطلعه على أمر النيابة الصادر بحقه لتفتيش منزله ومقره والقبض عليه .. كان الصياح أكثر من الناس، وكأن أفواها من السماء انضمت إلى عصبة المقهى ومغلق الخشب ... وسط حاشيته لم يطلق

الجنود رصاصة واحدة ولم يذهب عبادي إلى مركز الشرطة إلا في سيارته وعاد فيها.
إن محاكمة عادلة لرجل مثل عبادي كانت كفيلة بأن تسحق الكثيرين الفقراء... أولئك الذين اعتادوا الحياة في كنفه، واعتادوا فتح مظاريفه الشهرية من أجل الطعام والشراب وملابس الفصول الأربعة .. وتسحق معهم أيضاً أولئك المتورطين معه في جرائمه ونزواته.
قال لي سليمان أعرف ما كنت عليه وأعرف ماذا أصبحت الآن... اِصعد إلى السيارة ولا تتكلم كثيرا.
قلت: لماذا؟
قال: لا يمكن البوح بكلام مهم لأخرق مثلك... ستفعل ما أريد حين أقول... أما قبل ذلك فلا أريد أن أسمع صوت نَفَسَك... مت حتى نصل... وسأتدبر معجزة للحصول عليك من القبر مجددا.
قلت: يا سليمان... توقف أرجوك لا داعي لكل هذا العنف أم هو خوف؟ أم فضول؟
اقتربت منه راشقا عيناي في وجهه ولم أتركه حتى وهو مضرج في نظراتي.
قال: إلام تنظر...ابتعد عن وجهي.
قلت: أنظر إليها... ابحث عنها... دعني أنظر جيدا إلى فمك.
قال: حاول أن تقص شعرك يوما ما.
قلت: لماذا؟...هل تتضايق من شعري إلى هذا الحد؟....كنت أجهل أنها في الحافلة وكان عبادي يجهل ذلك أيضا .. تلك هي الحقيقة وعليك أنت تبرير وجودها واختفائها والخوف وبقية الأحداث.

قال: خذ هذا الكلب من هنا .. اِرمه في الحجز لن يخرج مع أحد للمأمورية ..
أصبحتُ في السجن، ولم يخرج أحد للمأمورية .. تتصارع الأفكار في رأسي صراعا مريرا، كل واحدةٍ منها تريد أن تصبح شيئا على الأرض، وحدها، ولا تريد شريكا .. لم يفهمن أن الرؤوس لن تبقى حبلى للأبد... إما ميلاد أو موت وشيك بلا ثمن وفي الأرض متسع للجميع... داخل عمق الهواء وعمق التراب.
عبادي قابع أمام مكتبه الذي يغير منه على شارعنا يدير طاحونة البشر الذين يديرون طواحين البضائع والخدمات من أجل عود وفير للجنيهات، يتصرف وكأنه استحوذ على البراءة .. كأن خروجه قد أصبح آمنا وكأن المذنبين في هذا العالم هم أولئك الذين لم يمسوا المخدرات من قبل ومن بعد.
وجودي مشكوك فيه رغم أني موجود ...لابد من دحض الشكوك بالثأر وإلا كان التعامل معي كميت هو الدأب حتى الممات .. تزوجت امرأة لا تعرف اسمي وتصر ألا تعرفه.. مازالت تعيش في بيت أبيها الذي تشرخ بيد زلزال التسعينات وتحول إلى أنقاض مؤجله ظلت تحتويها مع أخيها عبادي أيام فقره.. حتى تزوجتني... كأنها ابتاعت عكازا لحلمها المشلول ...في لحظة عجلة من العكاز.
أنا مجرد دبدوب صيني يدفئ الأسرة ويملأ الأمعاء بالطعام أقدم الفوائد الرخيصة والخدمات المعتادة التي لا تحتاج مهارات مميزة أما هي فتنام مبكرا وتأكل وحدها وتتحدث كأنها واحدة من الأطفال أو زائرة تجلس في الصالون وتحتسي فراغا... لا تملك أي مشترك بيني وبينها إلا كتاب الله وسنة رسوله.

مهما كانت الظروف فعبادي أخوها الأكبر له التقدير والمصداقية دائما فلا مقام للمقارنة والاختيار بين الدبدوب وعبادي وقت اللعب، أو حين تقرر أن تمزق أحد ما إربا عند استشعار غضب أو خطر.
قال: هل يتاجر عبادي في السلاح والمخدرات ؟!
ضحكت.. وقلت: كأنك لا تعلم شيئا يا سليمان.
قال: كف عن رفع التكلف .. اِسمي سيادة الرائد سليمان ..أنت مجرم وأنا الضابط ..جيرتنا تاريخ وانقضى يا متهم.
قلت: تلك الأعمال يتداولها الناس على علم منكم ... عبادي جبان.. إنه لا يتاجر في السلاح.
قال: كف... سنخرج للمأموريه... سنعيد تمثيل الواقعه...لنرتب الأوراق.
قلت: هل وجدتم زوجتي؟
قال: ملعون أم جنانك... ألغيت المأمورية
ذهبت إلى السجن من جديد .. هكذا تتوالى الأشياء مرتبة كما شاء لها الهوى.. البيضة ثم الفرخة أو الفرخة ثم البيضة على حسب الرؤية والهدف وموعد التقاط الصورة .. وبعد إتمام الطبيخ يخرج هذا الترتيب إلى المجالس والمقاهي ليحتار الناس ويضحكون.. يبثون الضلال في سؤال، على أن يتناوبوا العظات فيما بعد... بينما يظل الضلال كأنه معضلة كبرى وسؤال سرمدي من يأتي أولا البيضة أم الفرخة؟
قال لي سليمان: عبادي رجل بشوش ويصلي وأنت وقح قليل الأدب.
قلت: أنا رجل شريف وعبادي تاجر مخدرات وأنت تعلم هذا.
قال: عبادي رجل شريف والقانون لم يصمه بنقص ... وهو أفضل منك... إنه لطيف وأنت حقير

قلت: قلب القانون ليس كقلبي.. أنا إنسان أنا الأصل أنا من يصنع القانون...عبادي قذر.
قال: أنت سافل... وعبادي يتهمك بخطف أخته.
قلت: أخطف زوجتي؟... ما أنا خاطفها من زمان.
قال سليمان: أنت واخدها بعقد زواج على سنة الله ورسوله.
قلت: وما الفرق... إنها بحوزتي في النهاية ... ما الذي تغير ليتهمني؟
قال: اختفت.... اختطفت من الحافلة.
قلت: لقد اختطفت من الحافلة... لقد رأيتها في الكمين وفاجأني وجودها ..كنت أظنها بالبيت.
قال: ويتهمك بالاستيلاء على أمواله ونتهمك نحن بالاتجار في المخدرات والسلاح.

زفير:

ليس لدي اختيار إلا أن أحافظ على جسدي يتنفس حتى النهاية... فحتى توقيت التوقف عن التنفس أمر لا أملكه.
يا سليمان اتق الله... يا سليمان عيب عليك... أنا من المضطرين.. إنها بضاعة عبادي.. أنا رسول قد خلت من قبله الرسل.
قال: وها أنت تخلو الآن مثلهم.
قلت: وعبادي ؟
قال: رجل من الأعيان.
قلت: ألن نخرج للمأمورية.
تجهم واستدعى وأمر... فأعادوني للسجن.
لماذا يعشق الناس الزهور والربيع وأرداف النساء، لماذا لا يغنون لأوراق الشجر التي تتساقط في الخريف، لماذا لا

يحتفون بحر الصيف وبرد الشتاء، إن أولئك الفقراء في شارعنا يقولون في الربيع والزهور مقالات طويلة رغم أنهم لا يعرفون المروج الخضر ولا السنابل ولا الزهور، بل إن شارعنا نفسه ليس بشارع إنه حارة من قلب حارة في جوف مقبرة قديمة أعياها الفقر فأحياها.
ماذا عن الظلام؟
ماذا عن البرد؟
ماذا عن الندم؟
والخوف والعذاب والقهر... هؤلاء المنسيون المهمشون أليسوا أشياء تستحق الحفاوة؟ لم تصنع الزهور مجدا واحدا يذكره أي تاريخ وصنع العذاب كل الأمجاد .. "يا حلاوتك يا عذاب ... يا جمالك يا ندم".
قلبي مختنق وتفوح من سليمان رائحة تواطؤ.. الخوف البارد وظلام الليل جاءا بزائر تخفى واستدعاني .. فاجأني حضوره فقد كان صاحب الندبة الذي ذاب كقطعة السكر.. أعطاني حقيبة يفوح من جنباتها رائحة شواء وقال لماذا لم تتصل .. قد قلت لك إن عندي البرهان؟ ..
لم أرد
قال: مبسوط في السجن؟
لم أرد
قال:ماذا تأكلون في الحبس؟
بحثت فلم أجد ولم أرد.
قال: هل يهتم بك سليمان... دفعنا له جيدا لكي يهتم بك؟
أمسكت الحقيبة كما أمسك عن الكلام فانتهى المقام أمامه .. في الداخل تحت نافذة الحجز العالية وجدت دجاجة مشوية في الحقيبة يختبئ بداخلها مسدس ورسالة مطوية.. تقول الرسالة:

عبادي قتل أخته بهذا السلاح وجثتها في بيت سليمان... خذ براءتك.
فنائي مشكوك فيه رغم أني فنيت ... لابد من دحض الشكوك بالعدل وإلا كان التعامل معي (كحي) هو الدأب حتى الممات .. القهر واحد من أشهر المظاليم.. لم يحتف به ولم يغن له أحد حتى وإن غنى كثيرون لخدامه وعترته... قهرني زميل في الحجز تحت تعسف رائحة الشواء وعندما وجد المسدس وجد رائحة مؤامرة ... فقال تحت قهر الورطة، وانتويت تحت قهر المعرفة.
في النيابة قلت أنا بريء... وأخرجت المسدس وكلام؛ فتوتر الحرس القليلون كثيرا .. تقلد سليمان سلاحه وتولى الزمام .. أصدر أوامره وبادر... فتوالت الطلقات.لم أرها... ولم أشعر بها.. سقطت على الأرض ورأيت بدايات دمائي بقعة كبيره فوق ملابسي .. ليس لدي اختيار إلا أن أحافظ على جسدي يتنفس حتى النهاية.
أثناء سقوطي بجوارهم قال وكيل النيابة لملم مصايبك يا سليمان.
قال سليمان: الواد ضرب نار علينا يا باشا من سلاح كان معاه.. آدي الرصاصة .. وآدي الفارغ... والطبنجة ناقصها طلقة
(أخرجهما من جيبه إلى الأرض)...
ووكيل النيابة يحرر واقعة ويطلب إسعافا والرجال الآخرون ينسقون بقية الأشياء.
سليمان ينظر للوكيل ويقول له: عبادي بك بيسلم على جنابك يا باشا ومنتظرك النهاردة في قصر المنصورية

يضحك الوكيل كأنه متمرس على الأهوال ويسأله: وأخبار العروسة إيه؟
قال: منتظرة الخبر السعيد علشان تبدأ العدة .. خلاص أهو يغور... مغرقنا بأفضالك يا باشا.
حاولت جاهداً أن أحافظ على جسدي لكي يتنفس .. لكنه كف لأنه لم يعد يقدر على المزيد .. ففارقت ... ورحلت.

ألاعيب الفراغ والعدم

منذ ذلك التاريخ وهي تقف داخل البهو الأكبر في ترفع تواجه حوائط الرخام الأبيض، تتفحصها شبرا شبرا يوميا بلا كلل، منذ إطلالة الصباح حتى غياب الصباح التالي؛ لعلها تجد الباب ... والحوائط دوما تمتد أمام عينيها حكايات مكررة تبدأ من الأرض وتنتهي إلى السقف في عناق مستديم.
الليل نديم الصباح وكلاهما لا يعلم شيئا عن وجودها، رغم أن الليل موسمها الأثير.. كلاب تنبح في الخارج والصمت يغلف كل الأشياء بالداخل .. ليس من عادات الليل أن يخلط الأوراق كالصباح، قد يقاربها قد يقارنها أو يعريها من أجل العبث، لكنه لا يمازجها بأي حال من الأحوال، دوما يظل صمت الداخل منفصلا ونباح الخارج بالخارج.
كل منهما يصل سافرا منفردا يمجد نفسه ويطلب القرابين، الصمت الممزوج بالبرودة والرخام الأبيض والوحدة ... والنباح مع الظلام ووحشة الطرقات المسقوفة بسماء محفوفة بالمخاطر.. والمخاطر حوائط لا مرئية وأبواب ونوافذ يقف الخوف حارسا عليها.
في واحدة من صلوات الذهول تحدق في التقاء مسطحين كبيرين من الرخام ... تعاين تفاصيل الحشو الأسمنتي المحيط ... تذهب .. تعود .. تدور ... وتعين الصبر بالأمل لعلها تحصد بعض النتائج... هكذا تقول ... النار والكهرباء وانشطار الذرة، عوالم كانت مصمتة غائرةً كهذا الرخام، لكن اختراقا حدث وجاء بسببه فيض الاختراعات وطوفان جائر من حَيَوات لا نهاية

لها ولا رحمة، في ذلك الوقت خرج إبراهيم غاضبا بعد أن صفق الباب في عنف.
دمدم صوت الصفقة في كل أرجاء البهو ولم يمت .. أصبح كرة صدى تبادلت الحوائط قذفها لساعات طويلة .. يومها كانت تقف خلفه قبالة الباب في مشهد يحمل ظهر إبراهيم وضلفة الباب وحوائطها الرخام وملمح خاطف من ظلام الخارج بما فيه من نباح ونسيم بارد.
ظلت تعاين تآكل الباب في بطن الرخام مع كل مرة يلتقط فيها كرة الصدى أثناء رحلاتها الطويلة .. يتصاعد الرخام من الأرض للسقف قطعة قطعة ببطء وعزيمة ...ابتلع كل الملامح وبقي وحده بلا تفاصيل أخرى .. أصبح في الخارج من أجل الصباح وسيظل .. بينما استمرت في الداخل تجاهد من أجل الاختراق أو عودته ولا جديد.

الخروج من الصورة

القرية نائمة منذ سنين بعمق .. الأصوات.. نقيق ضفادع، صفير صراصير الحقل، كثير من صرخات الريح وحفيف الشجر المنعزل الخائف .. الأضواء .. ظلام غاشٍ لم يردعه أحد وبقع متهالكة من أثر المصابيح الحكومية المرِيضة فوق الطريق السريع.
ليلها... سَوَادٌ سجَّانٌ ليس له بصيرة وبردها قاس مؤلم كالشلل الكامل يخنق بلا أمل في نهاية.. الغياب والشتاء والشحوب عصبة بعضها من بعض حملت بضراوة على البلد بمن فيها.. نزوة ريح عاصف تدمدم .. غلقت الأبواب، أوحلت الحارات، تعتقل الناس تحت المتاح من الألحفة وأغطية الصوف .. فر منهم من نام ومن بقي تسجنه أحلام الجائعين.. مخادع الأطفال غارقة في البول ومخادع الكبار تسعى من أجل دفء البالغين قدر استطاعتهم.. الكل قابع مستكين حتى يعبر بسلام... إلا عوضين.
بين الدور الصامدة بمعجزة في وجه الريح هَتَكَ الوحشة.. اَنسلَّ كصاعقة يطارد عجلاً منفلتاً طردته العاصفة المجنونة، فقد انقضّت فوق الدار وسحقت سور حظيرته..
حين انكسر الحائط في داره والأمن في قلب العجل، امتقعت أحلام الرزق الصغرى واختلت حسبات قريشاته والأيام القادمة.. أضناه الخوف من وقاحة الشمس القادمة عبر ساعات قليله فأخذ يسابق آثار الهارب في الأوحال وبين هوام

الأرض .. لكن وحده.. فالكل نيام.. والكل يجدد عهد البرد والخوف كما يترائى له وبلا شروط.
رصيد الأحلام عليل، حتى أن الرعد كان يفوق كثيراً صوت عوضين الصارخ، وصوت الطرق الملهوف على الأبواب، وعويل زوجته والأولاد..
وميض البرق المتتالي كالنيران كان خافتا، لا يكفي إدراك أعينهم لون الجلباب الأبيض .. لم يشفع له دم ولا نسب.
يمم صوب الحقل القبلي وصوب الريَّاح ومضى.. وحين انقشع الفجر بلا آذان .. كان اللون الشاحب في بطن الغيم هو لون الصبح المقسوم.
شيخ البلد.. أغنى الفقراء .. والعمدة وعيون الأعيان، كل الشعر الأبيض والأصوات المتعالية على الصبيان ووقت سواد الصمت، تحملهم أقدام متثاقلة وظلال شواربهم ونخوة مؤجلة، يجاهدون بقايا البرد ونسيم الفجر واليقظة المبكرة ويبحثون.
العجل المارق يسعى في حقل البرسيم البحري.. وجدوا عوضين بجوار الترعة.. لقد اختطفته الجنيه أثناء الليل، سحبته إلى القاع، اغتصبته...كان يمارس معها العشق فامتصت دمه، سحقت قلبه وأكلت حتى ملت !
أصبح عوضين أجزاءً من جثه.. رشقوا فيها أعينهم .. ودسائس حكمتهم.. قُذَ الجلباب من دُبُرٍ.. الرجل الصالح ما كان يريد.. اغتصبته..كانت تعشقه! لم يجدوا سيقانه.. أكلتها حتى لا يهرب. حملوه إليهم، أباحوا سرد حكايته والأحكام وسكبوها في كل الدور .. تقول زوجته: إن الملعونة أكلت وجهه الجميل.

يعيشون كثيراً في الظلمة .. لكن لم يشهد أحد في القرية جنِّيٌ أبداً.. لم ينطق ميت من قبل لديهم.. ولم يتحدث عوضين.. لم يحكِ لأحد شيئاً .. لكنهم يكتبون تاريخاً.. يضعون القواعد ويحددون الحدود.
يدفنون بقاياه بعيداً في مقبرة وحده حتى لا يؤذي أحداً .. صنعوا عِبْرَة .. وفي الشمال فوق الربوة المهجورة قرب الجبل... كان قطيع الذئاب ما يزال ينهش قطعة لحم من ساقه.

.. وتفاحٌ وبعض الألعاب

بشير من وجه الشمس لصباح جديد .. خطوات الكهل العائد من الصلاة تنظم تسبيحاته وتنغمها، فاتنة صغيرة تحتضن كتبها في الطريق إلى المدرسة، تلبس مائة رداء أزرق وتملأ الأنحاء، يتسابق الصبيان حولها ويتعاطون قليلاً من الجلبة.
الخبز الساخن مرصوص بعناية والهواء يداعبه، حبات البطاطس تستقر ناعسة على سطح فرشة أم سيد بجوار الطماطم والليمون. مازال الإسفلت بارداً ندياً والسكينة تسود، لم تتراجع بعد، وقت لدعاء الأمهات والأرزاق الصغيرة والأمل، موسم للبراءة.
(ريشة حمامة بيضاء وورقة شجر يتهاديان إلى الأرض في وداعة)
خلف نافذة مغلقة بإحكام، ترتل عينيه عينيها، يناجيها ويغازل جسدها بيديه .. يقول لها: أحبك، تدر رحيقا .. على ذراعيها العاريتين يقبلها كثيراً، يبسمل في همس، تسمعه فتجعله بعضاً من صدرها، يشرق في عمقها كأرض اهتزت وربت، يمزج رحيقها بنطفه.
حولهما يسترسل التلفزيون في سرد أخبار عراقية ومن فلسطين، الصورة فيها وجوه حمراء تتكلم وجثث سمراء على الطرقات تحتها دماء وفوقها عمائم عربية. أسفل النافذة يبعثر المذياع في سيارة عابرة أغنيات أمريكية المذاق.
لسنوات عديدة كان الصباح يغني بصوت شاديه في المذياع (شباكنا ستايره حرير ..).

حسين أقدم من عائشة بسنوات، عندما ولدت عائشة كان حسين يحج في مكة مع أبيه، عندما ذهبت إلي المدرسة في القدس كان يتعلم في باريس، وعندما كان يتاجر في أمريكا كانت تستكمل تعليمها في موسكو، لكنهما تزوجا في القاهرة.
خلف نافذة مفتوحة قليلاً، كانت تصرخ بصوت عال حولها طبيب وممرضات وماء ساخن، تضع مولوداً اسمه أحمد .. بشير من وجه الشمس لصباح جديد .. خطوات الكهل العائد من الصلاة تنظم تسبيحاته وتنغمها ....
فاتنة صغيرة ... إلخ ..

سرقات الكلام

سمات البعد القاتل: أرض مشقوقة، قلب غريب وعين لا ترى هي شعر متناثر في رأس فارغة قديمة، قطعة زجاج مكسورة جرحت رجلاً، فأعادوا تكسيرها وتبعثرت لتمزق عشرات الرجال، حاوية قمامة تتدلى مشنوقة إلى عمود نور حيث لا حلم ولا تاريخ ولا استغناء.
أتابعها .. سيارتها تعبر العمق في صخب .. وأنا أتطاول على أيامي تماديًا ومللاً، أتملق أحلامي وأجادل أحلام الآخرين أطفو كأني لست موجودا.
امرأة وحيدة ورجل يقبع في يدها لا يقبل ولا يرفض إلا اللمم، يراقب الثواني وتذييها والقادم من الأحداث .. يرسم فراغاً ممتداً إلى العدم .. اللحظات الكاذبة مربكة لأنها مستهلكة بلا وجع ولا فرح ولا أي طعم فوق السطح. تمضي الأيام كالصفعات تدك كل شيء حتى أسناني البالية وابتساماتي القليلة.
أنا صانع الحلوى والحكايات وخضار السنين .. في دكاني الصغير تتجلى مكوناتي .. بضائعي وزبائني وأيامي التي تتراكم .. كومة من الساعات والدقائق المستهلكة كالمناشف الورقية وأنا في عمقها أغرق ببطء.
أصبحتُ أياد كثيرة ممتدة من تحت الماء تتسول الهواء المجاني ورفقة رؤوس لا يغطيها البحر، أنا الآنَ أُشْبه بيتَ شعر منكوب في قصيدة غريبة الأطوار، كلمةً جريئة لا تسعها جملة، شبقاً وغضباً وأصابعَ مقطوعة تريد قلماً حراً.

مازال يتدلى من حقيبة يدها، يصدر صوت شخير دائم، محاولة جادة للإيحاء بالرجولة، نسي أن الرجال يشخرون فقط أثناء النوم، كلب ضال يسعى في الطريق بلا دليل، يتشمم بقعة بول نظر إليه الكلب في بلادة ولم يمنحه اهتماما، البعد يسخَطه والشخير مازال مستمراً.
بعض السكر واللبن وأشياء قليلة يصنعون كثيراً من الحلوى، تذوقي ! مددت يدي وابتسامة .. هل تشترين؟ تجار الأرض وشياطين الشوارع والنساء يمتدحون الحلوى كثيراً لكنهم لا يشترون.
على باب الدكان ظلت تحملق، تغتال بعينيها طعم الحلوى المعروضة، الاغتيال درب غامض مظلم ملتوٍ، مسيرة حلم جائعٍ، وآثار مريرة.
قالتْ لي: بديعة جداً.
قال لي: رديئةٌ جداً.
تشير بيدها لتطلب، ويسأل عن الثمن.
قلت: أنا لا أبيع...!
قال: وماذا تفعل بالحلوى
قلت: هي للشراء فقط
قال: سرقة
قلت: كلام
نظر إلي بشك .. تَبَسمتُ ..
قالت: ماذا تعني؟
قلت: من يشتري عليه أن يصنع العرض ويقدم الثمن.
امتقع وازدهرت، ثم غابت في تراجع ومسافة ورحيل !

مرآة سيارتها حمقاء تصنع مني صوراً معكوسة، أتصاغر وأذوب كلما تمادت للأمام... غَرِقتْ في دمعة كانت تنبت وهي تلعق السكر من أصابعها.
يتوهج نور المكابح الأحمر، يبزغ ذراعها ليفتح باباً.. عندما وقفت على قدميها استطاعت أن تغير اتجاهها، أصبحت في مواجهة الدكان وأصبحت الأشياء أكثر وضوحاً.. بدأت تهرول نحوي، لديها قرار شراء وتنظر للأمام.

أصعب أيام القطار

زمـــــــانك زمـــــــان الكلوبـات
والقطـــر علـــى الســـكه ماشـــي
أنـــا اليـــوم شـــفت ولاد العـــذابات
فـــى الضـــله فـــارده الشماشـــي
(عيني آه ياعيني على آه..... عيني آه
يـــــــاعيني علـــــــــى آه)

نغنى دوماً وهو يصنع بنا ضفائر على الأرض يجري ونجري معه ندخل طريقه ثم نخرج منه فيدخل طريقنا ليخرج منه .. كنت أحب أن أنظر إليه، أغني معه ونضحك، ليس لدينا ما نخسره والأيام القادمة كلها مكاسب.

وجوهنا وجهه ووجهه وجه أبيه، خضار عنيد، صبح وعصر، السكة الحديد، البيوت، المسجد والأهل الذين نشبههم كثيرا، أولئك القليلون الذين يشاركونه البلد، حيوانات تزرع بعد أن دجنها تاريخ الملك، الشمس والتراب، ملامح الصغار السمر الذين يكبرون.

يرفع ذراعيه في وجه شمس العصر، يصنع ظلاً ويجري .. يتلوى الظل على الأرض مع جريه فوق الكثبان الصغيرة والحشائش والأحجار، يتابعه ويصرخ كصفير القطار.. تووووت .. قلبه يحب القطار، يتبعثر فرحاً كلما اجتاح الأرض وزلزلها، يعجبه، يملأ عينيه ويبهره، كل ما فيه كبير وكثير .

القطار واحد من نهاياته العظمى القليلة صفاتُهُ في حياتنا مُسلَّمات، وقربه أَمَله، وخدمته تقارب العبادة شرفا .. تقيٌّ مثل العمدة وأمي ومقام سيدي الحكيمي، طارح البركة الأبدية وصاحب الكرامات.
ظلَ القطار يدك الأرض سنوات طويلة، يدغدغ مفاصله ويداعب أحشاءه.. كان يتمنى لو أن أباه قطارٌ، جرار ضخم، صوته يفتت الرعب وينقض على كل شيء .. لا شيء يسحق جلال القطار ويستطيع القطار أن يسحق أي شيء .. القطار يحمل الدبابات لكن الدبابة لا تستطيع حمل عربة قطار واحدة .. تلك العربات العالية الطويلة التي تشع إضاءات حالمة في المساء، وصباحاً تصبح ذكوراً أنيقة. القطار وحش لا تجرؤ على تجاوزه عين مهما اعتادت رؤيته ولا تسمع أذن غيره حين يأتي كأفعال الأساطير.. قال له السائق يوماً: القطار لا يمكن أن يحيد أبداً عن الطريق! ظل يتأمل قدميه الطافيتين على الأرض، تتماوجان في حضرة كل قطار يمر..
في أيام الحرب كان القطار يخترق المحطة الصغيرة، يمرق مسرعا يمزق الهواء والصمت، يصفر في شراسة كالإعصار ويحمل ألغازاً كثيرة ومظاهر مجد: جنود، دبابات، عربات وتكوينات ضخمة مغطاة بقماش مموه .. عمه كان يقول عنها صواريخ الظافر والقاهر.
عبد الفتاح تاج الدين أقدم الجنود في البلد كان يقول إنها مدفعيات مضادة، إحساس ثائر هائل مجوف كسراديب الهرم الأكبر، يزرع في جوفه الصغير علامات استفهام ضخمة وأحلام، ومشروع للسؤال والإجابة ينتظره على يد خاله الضابط في الجيش .. مر الوقت عليه كثيراً، قابل خاله مرات لكن لم يسأله قط، كان اللون الكاكي يفعل به فعل القطار، كان

يزلزله .. كان يحلم في خشوع وهو مفتوح العينين .. و ظل يكبر ويشب ..
في يوم من الأيام وجد نفسه كبيرا، يعرف أشياء كبيرة لم يكن يعرفها من قبل، ويمارس أفعالاً غريبة، انضم إلى عالم شاذٍ عارٍ كان ممنوعاً، أسرار ومؤامرات وعورات ونظريات. أجواء فضفاضة لا معالم لها، انقض سهر الليل على نزهات العصاري، الدخان أضيف إلى مكونات الهواء، لم يعد مرح الماعز يستهويه بقدر ما يستهويه عبث النساء ودلالهن.
السكة الحديد لم ينل منها أحد بعد، خط للفرار والعودة وبيت القطار.. نبض الحديد على الحديد، حكايات الماكينات، الشبابيك المنزلقة للأسفل، تاريخ الهبو الصيفي، اللون الكاكي وروائح العرق.
ما عادت محطة مصر حلماً ولم تبق على خط الأفق، أصبح لخطواته فيها طريق، ومازال يناضل لكي يصبح من المقربين .. يتكلم كثيراً عنها، يحبها جداً، ليست ككل البنات، يا روعة الضحك، يا فتنة الأحلام، أنقامر حين نحب أم نكون من الآمنين؟ إنها ليست من الصعيد وليست فلاحة، قد تكون من نسل مماليك أو ربيبة حجر تركي.
جميلة أكشاك الصحف والسجائر، تصنع مع الزحام عالماً لا تملكه إلا محطة مصر.
ست البنات، في عينيه تبدو كتمام النعمة.. كانت تنتظره على رصيف المحطة الطويل .. قالت في وحشية وعنف: يا ضعيف، يا أراجوز، ماذا تفعل هنا ؟
ينظر إليها مذعوراً .. (النظرة البارعة لا تحتاج وسيطاً ونظرته لم تكن)
قالت: قرد بصديري !

نظر إليها متسائلاً مذعوراً .. (النظرة البارعة لا تحتاج وسيطاً ونظرته لم تكن).
قالت: تقول كلامي وباقيك خرس، تفعل أفعالي وباقيك شلل، عاجز كسيح !
ينظر إليها متسائلاً مذعوراً يخنقه يأس! (في بلدته المزروعة تحت تراب الصعيد لا يجيدون النظرات البارعة، ينظرون ليعرفوا، وحين يغضبون ويحبون تصبح النظرة داراً وفراشاً).
قالت: إغرُب، أنت الآن ميت، قد بكيت عليك منذ أيام، دع القطار يلفظك فوق الأرض القاحلة في بلدتكم من جديد.
في أيامه الصغيرة كان هناك شحاذون يقطنون محطة مصر، يثيرون الحنان الخبيء بإلحاحهم كما يثيرون التقزز! و مازال فيها كثيراً من النصابين لا يثيرون إلا نوعاً خبيثاً من الندم.
قالت: العضو الفاسد يبتر!
ينطفئ وينظر إليها مستجيراً، اتكأ على خطوة نحوها فأشاحت ورحلت دون وداع .. أجهض خطوته الأخيرة وبدأ السقوط.
رأيت شاهداً من ظلها يهرب بين أقدام رجال مجهولين لم تنبتهم أرض المحطة.. كما كنت أرى رأسه في رقدتها الحزينة على كفه وسفره قبل أن نولد من بطن القطار.
إنها نكتة سخيفة ظلت تلح عليه.. تراوده عن نفسه، من أجل ضحكة وافرة غزيرة بينما هي تسعى لكي تسقطه خالي الوفاض، لا هو ضحك، ولا رضي بما كان عليه من الصمت.
لو سقط فلن يسمعه أحد.. القطار يتجشأ بصخب بعد التهام المسافة حتى المحروسة .. أكره النكات السخيفة أكثر من الحزن لأنها مبتذلة، مثل الخيانة والغدر، لا أتداولها، إنها مشروع سعادة فاشل، ووعد رخيص !

ستهشمه الأرض القاسية لو سقط، إنه وزن رجل .. يختزل فيها كل العالم .. امرأة من جيرة زحام أم العواجز، بنور عينيها وغزل جسدها طيف من ظلال القاهرة وضيائها، صوتها منقوع في صياح ديك ونداءات سوق بكر غض، وعلى ذراعها وشم مصري، نارٌ لها نور .. رأيت عينيها في بريق حكاياته.
لو سقط فلن يكون إلا إسما يضاف إلى ضحايا النكات السخيفة .. أسبق خطواتي بخطوتين، جريت نحوه قبل أن يفقد كل المسافة إلى السطح القاسي.
هو الحبيب ولم ينجح في بيع الأرض، لم يفلح في جمع المهر، لم يخرج من قلب الصورة، مازال المشجب في غرفته يحمل جلباباً، ومازال غبياً لا يعرف مكان شراء الورد ويتلعثم حين يقول لها صباح الخير، رغم قلبه الذي بحبه وأحلامه وأشعار ابن الفارض .. ينقطع المحسنون في الليل الفقير، الجميع يتحولون إلى أياد تريد، لن تمتد يد إليه لتعطي، سيمزقون لحمه لو سقط.
يقول: إذا أخفق نَفَسي القادم فلا تتركها تضيع.
قلت : لن يخفق.
يقول: اِلحق بها.. أدركها.. أيقظها... أيامها المرة قادمة.
قلت: لا أملك من أمرها شيئاً.
يقول: بيني وبينها عهد ...بيني وبينها طريق.. لا تفقدها.
قلت: لا تملك لها شيئاً !
يقول: لم أوف جهادي، لم أبع الأرض، ولم يكتمل المهر، قريشاتي ناقصة.
قلت: لقد سمعتها.. إنها امرأة بلا جلد، أوعية دموية، ودهون وشحوم .. لحم أحمر يقطر دماً.

يقول: وسمعت صدى صوتي منها !
قلت: قاسية كشيطان موتور.
يقول: لا تحاكمها فلست رباً للخلائق.
قلت: لا تسقط.
يقول: القطار يعود بعد ساعة، ضع جثماني فيه؟
قلت: لا تشهر إفلاسك، اِحرق من قتله الطاعون، استقبل من الحياة عطايها الصغيرة.
يقول: عطاياها الصغيرة ؟ الفتات ؟
قلت: عطاياها الوليدة، النفحات
يقول: النور؟
قلت: وصمت القدم الثابتة على الأرض وبراح العين المبصرة وضجيج تصنعه يدك إذا امتدت لتحرك نوم الموجودات.
ابتعد السطح القاسي شبراً، ارتفعت رأسه شبراً، يتحرك، يتراجع أو ربما يتقدم، في عينيه نظرة ثقيلة، يمددها أمام مصدات الرصيف الضخمة كقطار منهك، ويؤول إلى باب المحطة الكبير، هل يبحث عنها ؟ أو لعله يبحث عن براح يدفن فيه وجهاً باكياً.
يسحقون الصمت والكلام والملامح في الميدان الكبير، كلهم لا يعرفون بعضهم، وتحت أقدام الملك الحجر تباع كل الأشياء بثمن بخس .. عندما تتباعد الأقدام وتتقارب المسافات تسقط بعض الخبايا إلى النور.
يقول: أخجل من ذكر أحلامي.
قلت: سلام لك.
يقول: الهواء قليل
(إغنيها يارب بالحلال).. دعوة يبعثرها في إسراف حمال يدفع عربة إلى سيارة ...لا ينصت أحد!

يقول: هل تذكر المدفعيات المضادة، لمن كانت مضادة ؟
لم أرد، لأنه يعرف ! سبقته إلى الرصيف المقابل باحثاً عن سيارة أجرة .. يرفع يديه إلى وجه الشمس .. يصنع خطا جديدة على الرصيف المزدحم، يقول تووت ثم يغني :

عينـــي رأت ســـرب غـــزلان
فـــيهم غزالـــه شـــريده
والقلـــب لمـــا اتنغـــز لان
شـــاور وقـــال لـــي شـــاري ده
(عينـــي آه يـــا عينـــي علـــى آه.....
عينـــي آه يـــا عينـــي علـــى آه)

أوراق الفل

الصدر الحائر خلف الثوب الفضفاض الأبيض.. شارد.. هادر يتحدى كل الأعراف.. مع خطوتها يطل... يسامر أبصار الناس..يترنح.. يلوح بأنوثته ثم يفر.. يداري وجهه .. يلامس في ولع خد الثوب من الداخل .. وتعود الخطوة فيعود.. يشاكس ويغازل... كأن الدنيا لا تتذوق غيره... كأن الحسناء العارية في حضن الثوب لم تدرك نزواته.

الأنظار تؤم الجسد الفائر.. تتكاثر .. تتسابق.. تتزاحم.. تتراكم حتى تصنع حائط صد يقبع بالمرصاد أمام الباقي من جوعى المصطافين على الشاطئ .. لكن الشهوات المحرومة تتسلق ظهر الحائط.. الآذان تتسمع أشياء كالأخبار.. وتحاول أن تصنع ما يشبه نظرة فقد تكتمل الصورة .. الأسئلة تزوم وتتصاعد.. تنتشر وتجري.. تتخبط في بعض الأجوبة، وفي النظرات، وكثيراً في خيبات الأمل.

تُغيرُ على الناس الغيرة.. تنتشر كشرخ يتفرع بين نساء الشاطئ.. تسري حالة ذعر سرِّي.. يفتح نيران الماضي.. وملفات شكاوى القديم... تنطلق غَضْبِاتٌ غير مسببة وتتلاحق التحذيرات.. تلبس استغاثات النجدة أقنعةَ وجوهٍ تنصح، ووجوه تضحك، ووجوه ذات ملامح أناركيه .. ثم يستحلبون الاستسلام.

توقف خطو الحسناء أمام البحر تماما .. رملات محظوظات يتسلقن الأقدام الوردية .. ملعونات يتفرقن ويتباعدن فتغوص القدمان تباعاً، ويعب الرمل أصابعها والكعبين إلى جوفه.

تتسكع عيناها.. تتأمل أجزاء الشاطئ والبحر.. يناديها الموج بجرأة .. ثم يدك الرمل بعنف.. ويشير بأيدٍ يعلوها الزبد ويزمجر كالثور الهائج.
تلمع عين الإعجاب بوجه الأنثى .. وتبعثر بدلالٍ خطوات متكاسلة نحو البحر .. تقترب ببطء.. قدم تسبق قدما، تتذوق طعم السطح من الماء.. يعجبها.. فتغيِّب قدماً كاملة في إحدى الموجات العائدة إلى البحر.. وتغوص الأولى في الماء السارح.
الماء المسترسل داعبها .. تجري معه فوق الشاطئ.. البحر يثور.. ويعود بقوه.. يسحب رمل الأرض إليه.. ويباغتها.. فتسقط في حضنه.. يخترق الثوب الأبيض، يبلل مليمترات الجسد الثائر ويضاجعها.. يُسَكِّنُ ماءه حول تفاصيل الثدي الشارد.. يغافلها ويعيث بكل مآثرها والمحظورات، يقبلها، تبدي غضباً فيتوب إليها، تقبل توبته وتتبسم يعريها، يلطمها في شهوة، تضحك في لهفة.. وتحاول إسدال الثوب الأبيض..يرفض محتداً.. يدفعها في قوه.. فتضحك أكثر .. تضحك في نشوة.
تتحول كل رمال الأرض والأقدام وكراسي الناس والأعين وأعقاب السجائر إلى عيون .. تتحول القلوب إلى رهائن.. والعقول إلى فراغ.. يمتلئ الهواء برائحة الشبق... ويشرب ماء البحر من الأنثى.
وقف الجميع .. حداداً على لحظات النشوة التي بدأت ومازالت تنتهي .. تقفز الحسناء من فراش البحر خجلى .. تغوص تحت مظلتها، تحتضن منشفة، تتحسس بقية الماء عليها.. تبتسم بخبثٍ وتعابث قطرة كانت تتذوقها.

يعود الموج إلى الداخل .. البحر يضحك كالغول ويضرب أمواجه بأمواجه .. ويعابث السابحين الغافلين .. أما الشاطئ فقد أصبح مضمار سباق للنظرات المنفلتة والمرتبكة، والتي مازالت تترقب عودة أوراق الفل.

ذهب البــحر

السفينة والمرساة والأحبال غليظة .. الضوضاء متعسفة، وبقعة ضوء كبيرة تطغى على ليل المداخل والمخارج.. ملامح رحيل.. البحر يلطم سيقان الرصيف العارية في جوف الماء كذكر بري ثائر، عمل دءوب يتهاوى في رحم المحروسة من أجل مخاض الفجر القادم، قطعان الرياح الباردة برائحة اليود تناوش القلوب ولا شيء مؤكد !
الكل يسعى، لا رفق ولا حدود .. أقفاص عظمية معتمة، ألقاب لا دلالة لها إلا في ألوان القمصان .. يقبع اللصوص والعسكر حيث تموت أحلام وتولد سرقات .. يمتلئ الرصيف بالصيادين والحمالين والباعة ... فقراء المحروسة الذين تسبح بهم في البحر كلما رزقت رحيلاً.
وعد تائه لقيط وثمن .. أحزان البعد .. الشريان الممدود إلى البر .. مولود وشجرة .. امرأة وبقعة دم .. جدران البيت والهواء الضروري للجائعين.
عيناه الخضراوان تتحسسان مواقع الخطوات على السقالة المتأرجحة، ألقى بأحماله وعاود الهبوط، يتتبع صيحات الريس وتعليماته بلا تفكير فلا شيء مؤكد، وليس هناك ما يدعو لتحمل مسئولية الثور أو الطحين.
الصيد قابع في مكان تحت الموج وأيام الغيبة والقوانين .. وهو لا يصنع أيا منها .. هو "أُجَري" .. عامل مؤقت أجير ... ثلاث كلمات في قائمة حكومية.

يكون أحياناً يدين أو قدمين، وأحياناً خيط في شبكة ... فعل متكرر لا يشبه أوله إلا آخره، ولا يعني أحداً .. يمرح في داخله ويغني .... مشتاقين يا ناس مشتاقين !
البنت حلوة وجريئة.. انفلاجة نواجذها تجعل من ابتسامتها ضحكتين، عيناها المبهورتان، القد المغزول من سمرة الشمس ولحم البوري المتكرر ... "لكن الحلو ما يكملش" ... خوانة ... والخيانة ألياف منزوعة من جذع الشجرة تجعلها لا تصلح للبحر المالح .. قصص خطرة .. اعتراف وكذب .. قسوة... ملك وكتابة .. خسارة ... نضارة جففها الزمن والرحيل، حكاية من الحكايات !
أحد الباعة الجائلين يتتبعه ويلح، يتجاوز البائع بلا تعليق مغيرا عليه بتجاهل خشن ... خدعه أحدهم منذ أسابيع في فاكهة معطوبة، قرر ألا يخدعه أحد مرة أخرى .. ضحك بصوت عال!
نظر البائع نحوه وتشكك إن كان قد اكتشف خديعته .. ويشك هو في جدوى مثل هذا الإجراء؛ لأنه لا يعرف متى سيخدعه أحدهم مرة أخرى، ويبيعه فاكهة أخرى معطوبة.
عيناه الخضراوان لا تلحظان الصدأ على سيقان الرصيف إلا في العودة، ومع الرحيل تحلمان .. تحت ظل أصابع "الريس" يداهم حملاً جديداً بصيحة تصرعه، يرفعه ويتأرجح على السقالة صاعداً المحروسة.
في أيام صغيرة مضت ابتلع البحر أهم المراكب الحميمة وفتح في قلبه فجوة، ليعلمه أول حزن .. وأول ملامح الشوق .. أحب أباه عندما فقده في البحر وأصبح حكاية ... وأحب البحر لأن أباه يسكنه، أحب أيام الوعد حين ماتت قبل أن يراها عمره، واعتاد رائحة الأيام التي كان فيها صغيراً.

يتعلم طعم الألم تباعاً، درس تافه طويل متكرر؛ لكنه ينساه بسرعة..
لا يكبر لكن يكبر البحر، يصبح أشياءه .. إنه أكثر من الرمل والموج والشمس المؤقتة. عندما أصبح رجلا ... اختفى الشاطئ ... ذابت الفواصل وانطفأ الوهج القديم ... ذهبت مواقع الوداع والانتظار لأطفال آخرين.. يلقى بحمل جديد ويعاود الهبوط.
صوت ابن "الريس" يناديه، يشبه صوت أقرانه:
- عينيك خضرة يا ابن الفرنساوي.
- عبد الظاهر وابن الداية ولويس المزين ونص البلد عينيهم ملونة.. ليه أنا لوحدي ابن الخواجة ؟
- كلكم أولاد كفرة !
- أنا أبوي مصري وعينيه لون زرع البحر اللي فوق قبره.
- انت أبوك البحر لا ليه لون ولا ملة، أي مركب وأي صياد، المهم اللي يدفع !
- كذاب يا ابن الريس .. وبعدين البحر مية مالحة والرزق صعب، إيده طايله وغضبه مالوش كبير
- آه .. شحيح وغدار، يحوجك للي يسوى واللي ما يسواش!
- دي كرامة يا أعمى، تُرزق منه ويُرزق غيره، حاول تفهم!
- ربك هو الرزاق مش البحر.
- الله يلعن الحوجة على قلة العقل !
- دي قلة دين، لا حوجة ولا قلة عقل !
- دين مين بالضبط ؟
يشيح .. يتوارى في عودته نحو المركب وفي زحام الرجال .. يبزغ وجهها بلا مقدمات، خمرية حتى في إضاءات الليل المأجورة وابتسامتها ضحكتين .. حالت دون وصول

الخطوات إلى السقالة .. عطرها والبلدة والهم يتشابهون كأنهم من أم واحدة، كلما تصدعت في ذاكرته يبنيها القدر من جديد .. كأنها جزء منه.
- تقدر تحميني ؟ أنا حأغير ديني، حأخليك ربي الجديد، أكفر وآجي لك وتدخلني جنتك؟
- الإيمان مش بيعة وشروة، لو آمنتي وخضعتي من غير شروط حتاخدي أكتر من كده.
- منين وانت لا ظهر ولا عزوة ؟ ومش لي لوحدي، البحر واخدك قبلي.
- هو ده اللعب بالنار يا بنت الغلابة! انت مفتونة وللا بتحبي ؟
- أنا حأضحي بحجات كتير علشانك.
- وعلشانك أنا حأضحي ولا نسيتي إنت مين وواقفة فين ؟
تماما في مرمى الهوى حيث كان يخبئ وجهه .. أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى .. تماماً حيث كانت كل تفاصيلها العارية تتهاوى في عينيه السحيقتين .. بقدر ما ابتلعت عيناه من تفاصيلها ابتلعت التفاصيل من قلبه وعقله أصبحت صورتها امرأة تعيش بداخله .. تتحرك جيئة وذهاباً، تحكي وتشكو، تمارس عليه كل طقوس استبداد الأنثى .. تنهار نشوة ساعات الفجر.
يتسلل لون باهت إلى خط الأفق ووجه البحر .. ألقى بظهره إلى بطنها، يخطف نوماً، ليست أجملهن ولم تكن حلماً، لكنه يحبها كثيراً .. تبدو أحياناً كقليل الفتات الساقط عن مائدة كانت عامرة !
يتصاعد الدخان من جوانبها، تقيأت بعض الزيت وتجرعت الكثير من النفط .. تزلزل الماكينات القديمة كيان المحروسة .. يعلو صوتها العجوز يستظهر أشياءها التي تشبه القدرة

والتحدي .. وعد بالرحيل يدفع نفسه للمقدمة بصعوبة .. ولآخر الوقت لا شيء مؤكد.

امرأة مجنونة.. وامرأة تنام

امرأة مجنونة تفتح فمها عن آخره وتنبح.
هل تريد عضة...؟ هل تريد ألعاباً رخيصة؟.. أم تفضل نظرة عشق من عين أفعى؟
الزمن الآخر والناس يصنعون أشياء ... تراكيب.. تبديلات وتوفيقات وقليل من الاختراعات... هناك حكايات عن العفاريت والحب والدين والشيطان ... وفي الأسواق مبادئ وحسابات وأوهام... ماذا تحب؟
هل تريد من ذلك اللاشيء المقترح من اللاأحد ؟!.. أم من الشيء الذي لم يطرحه أحد؟ ماذا تريد؟..أجب مارأيك في النساء؟... السلاح؟... السيارات البورشيه؟... هل تحب المخدرات..؟ الفلوس؟
قل شيئا... شيئاً يثبت وجودك ... لا بد أن تشارك في الحياة .. ليس أمامك اختيار لقد أصبحت معنا ... لابد وأن تصدر شيئا يحمل شيئاً من داخلك..
تتحدث طوال الوقت كأنها تهلوس .. أصبحت أراها رغم غشاوة النور الساطع وإلحاح السوائل اللزجة ... لم تعد مجرد صوت كما كانت منذ دقائق .. ما هذا الجنون ... من هذه المرأة؟ نظرت إليها في صمت ورسمت علامة استفهام على وجهي، أطاحت برأسي للأسفل وسحقت ظهري ضرباً .. لا شيء يظل على حاله..
الأرض!.. أين الأرض؟ هل هذه هي الأشياء مقلوبة أم أنها كانت مقلوبة من قبل؟! الطرق على ظهري يزداد .. البرد..

آلام أخرى في الرأس وفي الرقبة ومفاصل أكتافي والحوض، آه يا حوضي .. صدري يتمدد كفراغ في بالون... هواء متجبر يتزاحم بجهالة ويدمدم في حلقي.. اغتصب فراغات الرئتين... ركبي تؤلمني ما عادت تحتمل الوزن.. لست خفاشا.. لا أستطيع العيش معلقا مقلوبا.. سأمزقها حتى أرتاح.

كنت قد قررت ألا أجيب هذه المجنونة .. لكن صمودي يتداعى تحت التعذيب ... التدلي في الهواء والضرب وأمطار الضوء الساقط حتى عمق العين .. تنظر في وجهي عن قرب وتضحك.

اِنهار الإصرار، سأجيب.. توقفي سأجيب ... آه .. سأجيب .. دعينا فقط نتفق... نتعارف... على الأقل أعرف من أنت ولماذا أنا هنا؟

وجهها المتسلل يبتعد، لم تعد تسمع شيئاً... تتكلم مع أحد آخر... تنبح بخلاعة، لا بد وأني لم أعد أعنيها! صَرختُ بُعنف .. هممت برأسي للأعلى، واصلت الصراخ... حتى تسمع.

عاد وجهها .. بدأت أتكلم مرة أخرى... يا سيدتي أنا لا أقصد أن أتخابث عليك لكن والله أنا لا.... ضمتني إلى منشفة، لفلفتني في عجالة فأدركت إحساس العري، ضَحِكَت مرة أخرى، قالت أشياء كثيرة غير مفهومة وأرسلتني إلى فراش من البلاستيك.. واصلت الصراخ.. عذبتيني حتى أتكلم ... فاسمعيني .. تعالي.

لم تعد ... غادرت مسرعة ... أياد كثيرة ووجوه تتبادلني كلفافة مشبوهة.. ابتسامات سريعة مؤقتة وبشرات خشنة مليئة بالبثور، والأيادي عجوزة مرتعشة ... القسوة بادية في طعم

القبضات الضعيفة .. يقتربون كثيراً والبعض يلتصق، يصدرون أصواتا غريبة ..بعضها أزيز متقطع وبعضها نباح يشبه نباح المرأة المجنونة .. لكن أحداً لا ينصت لي ... إنهم لا يسمعون أو ربما استغاثاتي غير مفهومة .... صوتي لا يعني شيئاً.
خانق جداً أن تتكلم لغة لا يفهمها غيرك .. هكذا يكون الخرس! تعبت، بدأت أركن للسكات .. بوادر اتفاق يتم بينهم... لا ... يبدو أنه انقسام .. قد يكون اتفاق... لا أعلم !!
أعراض فرحة تنتشر بين الناس، ونظرات بارودية تضج من حين إلى حين .. لكن الكل يمجد شيئاً... بدأ نعاس يدب في أوصالي.
الآن أنا فوقي أغطية وتحتي فراش وجواري امرأة أخرى مدهشة .. مرهقة جداً، تشبه كل الآخرين تحمل على وجهها نفس الابتسامة السمجة وتتكلم كثيراً ... لكنها تغفو من حين لآخر.. لا شك أنها طرف مهم في الاتفاق... وهي في نفس الوقت الوحيدة التي ما زالت ترقب وجهي باهتمام وتحاول جادة أن تفك طلاسم لغتي .. قالت لي في حنان بليغ: هل تريد شيئا يا حبيبي؟
عندما تكلمت لأقول لها بعض الأشياء ذهبت في سبات عميق... وعادت المرأة المجنونة لتحملني من جديد... لا شك أنني في ورطة.

رجلٌ لا يستطيع أن يموت

النور الصغير هدهد عقل الصغير فنام .. يحمله بحنان إلى حجرته ويغطسه في الليل كما اعتادا، ثم في الفراش الدافئ؛ كأنه قلبه .. ويمدد أطراف رجليه فيما تبقى من غطاء الصغير وينام...

في صباحه... ينظر في وجه النهر ويسري معه .. يتكور خلف الشادوف يدور كرحى الطاحونة من أجل السقيا، يندفع جهده في إسراف كطفل أخرق مع سلسال الماء القليل نحو الحقل .. صورة وجهه ترتجف على سطح الماء المانح العريض، لكن الماء الممنوح لا يستطيع أن يحملها، إنه رذاذ وفقاقيع وصخب ..

تكتمل الأسطورة في يوم مأمول، تبزغ أوراق خضراء من جذع وجذر .. ينظر في وجه الجذع ويكبر معه.. يصعد، يهبط، يتفرع، لو لقي "لطعة دود" يفتك بها، واللون الأصفر يستثنيه فيسقط، ويرضيه لفيف الخضار النضر.

عودوه أن يلبس أحلامه وأن يفرش نفسه فوق حصيرة الصلاة ويفرش الظلَ عليه، بطريقة تشبه طرق جيرانه الفلاحين منذ خمسة آلاف عام، يسامر الزمن، يتحايل على الكبوات، يتوارى، يتناوب الحراسة مع خيال المآتة، يتعبد، يدر الجوع والقلق والحزن وينتظر يوم الحصاد.

في يوم مأمول آخر، يفيض في الحقل، يقود جموعاً من جيرانه وأفقر، يتكوم ثمرا وأعلافا وأرضا نفساء منهكة، يصبح عيالا فرحين وصفقة بيع عليها تحفظات، يتزاحم في

حافظة نقوده كأوراق من فئة الخمس، جبل منها يصنع ألفاً، عندما يتجمع في هذه الأشياء وعندما يفقد عرقه تلك الرائحة المختمرة بفجاجة، نعرف أنه في عيد حصاده!

في عيد حصاده تتوقد مواسمنا، زراعاتنا المُقامرة مُجَهَّلةُ المعالم، وأصواتنا، وحيلة ممدودة تلتهم الزمان والسكينة والفراغ، نتواتر عليه كالنحل الجائع، يُعَلق في أيادينا قريشات لكراسة الحساب وكتاب الامتحانات، للمسطرة والألوان، وفرخ ورق كبير نخطط له أن يكون جريدة حائط لا يقرؤها أحد، يظن أننا نزداد خصوبة ونظن أننا نكافح.

مازالوا يعوّدونه لكي يعودنا ألا نتوقف، حتى لو لم نفهم شيئاً!

صوته من حصاده، منه يصنع غضبه وشاربيه وضحكةً فاخرةً تنتهي بعد أن تَفْقِد حافظةُ نقوده نهاية نفَسِها القصير، ويعود لألعاب الهمِّ من جديد.

رجل ناضج مسئول، يعرف الأصول والواجب، يصلي ويربي، يزرع ويمنحنا أصابعه نأكل منها لكي تحين لنا أعياد أحصاد.

كانو يحملونه في نعش، كان البعض يبكي والبعض شارد والبعض يتوارى خلف آية الكرسي يتلوها مرارا وتكرارا، بعد ساعات كانوا يفككون أربطة الكفن لكي ينعم برقدة مريحة .. وبعد ساعات كانوا يرحلون.. وطوال الوقت كان يقف بين نبتات حقله يبسمل كما اعتاد ويعد أوراقا من فئة الخمس.

إغراق

في ليل قاهري متاخم للفجر، وتحت سلطة برودة ديسمبر الساحقة يتداعى مرور المشاة فوق كوبري قصر النيل إلى عشرات قليلة، ويتداعى أداؤهم الحركي وعلاقاتهم العضوية بالقاهرة، رغم بقاء الثوابت على حالها، فلا تغيير في الإسفلت أو أعمدة الإنارة المزخرفة
لكن ابتداء من الوقوف قليلا فوق سور الكوبري ذى العتبة الخضراء تتوالى أشياء مختلفة وأخيرة.
الهواء الحُر في الهاوية .. وذاكرة مثقلة بآلام وغضب .. الهبوط استسلاما للجنون والجاذبية .. فلول ضوضاء تنام .. مشهد سريع لقواعد كوبري ٦ أكتوبر بدت فيها كمتتالية من جبانات كبيرة سوداء يضغط عليها كف عملاق من الخرسانة المسلحة، ويمر من حولها ماء لا يقل سوادا، ومن خلفها إضاءات كوبري الجامعة تصعد للسماء مسرعة كأنها ألعاب نارية ومعها خط مشع بعيد قد يكون كوبري عباس أو ربما الدائري أو مقياس الروضة أو قد تكون "جزيرة الدهب" !
وصوت خافت منتظم يعلو شيئا فشيئا لتلاطم أمواج هزيلة مستأنسة يخترقه بوق سيارة ثم بوق مختلف أبعد قليلا أو ربما يعبر في الاتجاه المعاكس.
نداء شارد لأحد ينادي أحدا آخر من مركب مختبئ في الظلام المنتهك على سطح الماء، والفزع المفاجئ الذي حل بلا رحمة في كل شيء كلعنة فرعونية .. ثم سطح أسود متعرج كحقل من المناشير المتقاطعة والمتوازيه وصوت الارتطام

بالنهر... رذاذ ثم آلام وضياع فردة من الحذاء والغطس السريع .. فقاعات كثيرة وصوت التيار الصاعد من حولي فدخول الماء المتسارع إلى الأنف والفم والمعدة.
لم أكن أتخيل كل هذه البرودة، ولم أكن أظن أني سأسمح لها بتجاوز الحزن والحلول في مكوناتي بهذه البشاعة.
أغرق.. والغرق في النهر المعتم لديه أيضا من التفاصيل ما يقدمه.. مخروطات ملونة من الضوء تفقد بهاءها مع ازدياد العمق... تتسع وتضيع، تصحبها قيعان مراكب بارزة منحوتة في الوجه المخفي الأسود للنهر .. لافتات إعلان وأسماء فنادق كبرى وشركات وعمائر ضخمه تغرق في أفواج متتابعة بلا توقف.
عندما تداخل الماء في السترة الجلد انتفخت ومكنت الألم من نسيج القميص ورقبتي... ضاعت فردة الحذاء الأخرى وأصبح امتلاء الجورب عبئا في لحظات اللقاء الفريدة.
عندما لمست أقدامي طين قاع النيل لأول وآخر مرة غاصت والتصقت. فبدأت في مقاومة الموت وخطر على بالي أن جيراني البشر في السنوات الكثيرة القادمة هم عديد من اللصوص الغارقين والمغضوب عليهم وأطفال سفاح وعرائس النيل وصيادين أغبياء ومحاربين وحفارين... وبنائين وثوار متفرقين، هتكت أجسادهم سلطة ظالمة؛ فجعلتهم حكايات شعبية بلا أسماء، ثم صنعت منهم السلطة العادلة بلاطة ستوضع تحت نصب ثائر مجهول، لن يقيمه أحد لأحد منذ نشأت الثورة في يوم ما قبل الوعي.
ترى من سيعرف بعد آلاف السنين؟ إذا غزت الأرض كائنات فضائية أو عندما يتطور علم التنقيب عن الآثار أو عندما يجف النيل .. أو ربما عندما تصبح مصر دولة أخرى بنهر

جديد .. أن ما قد يجدونه من عظامي بعد التعرية والردم وأفاعيل السمك والفئران... ليست إلا بقايا فتى ساذج فقد حياته من أجل امرأة قديمة مريرة لم تعجب أحدا غيره، وعندما أحبها أحالته بمنتهى الخبرة إلى سن اليأس.. !

فهـــرس

مفتتح: الصفحة الأخيرة ٧

سيرك حلاوة ٩

فطيرة بسكر ١٧

شانشيلا ٢١

كثير من الدمى .. بقليل من الخشب ٢٥

ملحوظات في سجلات سم العقرب ٢٩

نهاوند ٣٣

معتادا.. زحف ٣٩

ريموت كونترول ٤٣

يرسم دائرة ٤٧

متتالية: شهيق .. زفير ٥٣

ألاعيب الفراغ والعدم ٦٣

الخروج من الصورة ٦٥

.. وتفاحٌ وبعض الألعاب ٦٩

سرقات الكلام ٧١

أصعب أيام القطار ٧٥

أوراق الفل ٨٣

ذهب البـحر ٨٧

امرأة مجنونة.. وامرأة تنام ٩٣
رجلٌ لا يستطيع أن يموت ٩٧
إغراق ٩٩

E- mail: khaledsabet@outlook.com

www.facebook.com/shanshella